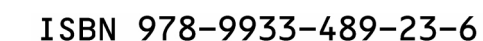

بسم الله الرحمن الرحيم


العباس بن علي




ISBN 978-9933-489-23-6

9 789933 489236

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد لسنة ٢٠١٢: ٩٦٩

الرقم الدولي ISBN: ٩٧٨٩٩٣٣٤٨٩٢٣٦

BP البغدادي ، محمد

٤ / ٤٤ العباس بن علي عليه السلام: بحث في جوانب عظمته من خلال واقعة كربلاء / تأليف: محمد

٢ ع/ البغدادي. ط ١. - كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية . وحدة

٧ ب الدراسات التخصصية في الإمام الحسين عليه السلام (ع)، ١٤٣٣ق. = ٢٠١٢م.

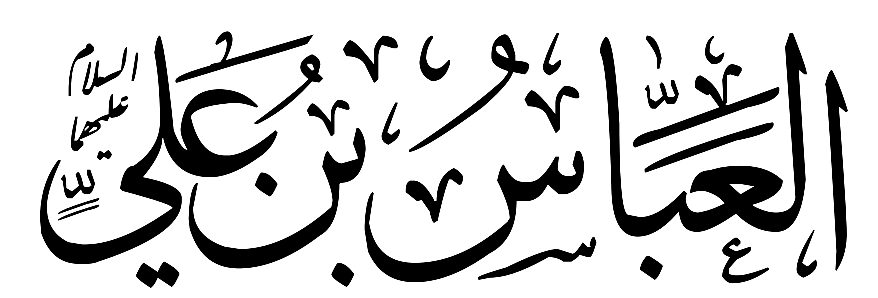
ص٢٠٧. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ ٨٢).

المصادر: ص ٢٠٠ - ٢٠٣؛ وكذلك في الحاشية.

١ . العباس بن علي (ع)، ٢٦؟ - ٦١ ق. نقد وتفسير. ٢ . العباس بن علي (ع)، ٢٦؟ - ٦١ ق. فضائل - دراسة وتعريف. ٣ . واقعة كربلاء، ٦١ق. ٤ . الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ - ٦١ق. - أصحاب. ٥. الشعائر الحسينية. العباس بن علي (ع) ٢٦؟ - ٦١ق. - شعر.

BP ٤٤ / ٤ / ع ٢ ب ٧

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة



بحثٌ في جوانبِ عظَمَتِهِ مِنْ خلالِ واقعةِ كربلاء

تأليف

الشيخ محمد البغدادي

إصدار
وحدة الدراسات التخصصية في الإمام الحسين عليه السلام
في قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م



العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩
الموقع الالكتروني: imamhussain-lib.com
البريد الالكتروني: info@imamhussain-lib.com



التقديم

إلى من بكى الحسين، وحث على نصرته:

سيد الأنبياء ـ محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم، جده

وسيدة النساء ـ فاطمة ـ عليها الصلاة والسلام، والدته

وسيد الأوصياء ـ علي ـ عليه الصلاة والسلام، والده

وسيد شباب أهل الجنة ـ الحسن ـ عليه الصلاة والسلام، أخوه

وسادة المؤمنين، أوصياء النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

علي السجاد، ومحمد الباقر، وجعفر الصادق، وموسى الكاظم، وعلي الرضا، ومحمد الجواد، وعلي الهادي، والحسن العسكري، وسيد عصرنا وإمام زماننا محمد المهدي ـ عليهم الصلاة والسلام ـ أولاده.

وإلى: سيد شباب أهل الجنة، الإمام المظلوم المهضوم الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم الصلاة والسلام

أرفع كتابي هذا إلى مقام سادات العباد، إلى يوم التناد عن حبيبهم، وناصرهم

العباس بن علي بن أبي طالب عليهم الصلاة والسلام

راجياً الرضا، والقبول، وحسن المنقلب والفضل الكريم.



العباس عليه السلام

عن الإمام علي بن الحسين ـ زين العابدين ـ عليهما الصلاة والسلام :

«رحم الله عمي العباس - يعني ابن علي - فلقد آثر وأبلى وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يداه فأبدله الله بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة كما جعل لجعفر بن أبي طالب، وإن للعباس عند الله تبارك وتعالى لمنزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة»[1].

بنو أمية

عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام ، في أن لبني أمية باباً خاصاً في جهنم يدخلون منه :

«وهذا الباب الآخر، الذي يدخل منه بنو أمية، إنه هو لأبي سفيان، ومعاوية، وآل مروان، خاصة، يدخلون من ذلك الباب، فتحطمهم النار حطماً، لا تسمع لهم فيها واعية، ولا يحيون فيها ولا يموتون»[2].

ومن قبل ، وصفهم الله سبحانه في كتابه بالشجرة الملعونة :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً

(١) الخصال للشيخ الصدوق: ج٢، ص٦٨، ح١٠١.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٣١، ص٥١٩.

لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا ﴾[١].

فقد أخرج ابن أبي حاتم عن يعلي بن مرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«**رأيت بني أمية على منابر الأرض وسيملكونكم فتجدونهم أرباب سوء**».

واهتم رسول الله لذلك، فأنزل الله:

﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا ﴾[٢].

وروى في مستدرك الصحيحين عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم:

«**إن أهل بيتي سيلقون من بعدي من أمتي قتلاً وتشريداً، وإن أشد قومنا لنا بغضاً بنو أمية وبنو المغيرة وبنو مخزوم**»[٣].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٦٠.

(٢) راجع الغدير للشيخ الأميني: ج٨، ص٣٥٠، ط الغدير.

(٣) راجع فضائل الخمسة: ج٣، ص٣٠٥.

إجمال عن أبي الفضل عليه السلام

الاسم

عباس، والعباس من أسماء الأسد.

الأب

علي بن أبي طالب وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ونفسه، بطل الإسلام الأعظم.

الأم

فاطمة بنت حزام بن خالد بن ربيعة العامريّة[1]، المكناة بأم البنين[2].

الكنية

أبو الفضل.

---

(١) ربيعة هذا هو أخو لبيد الشاعر المعروف.

(٢) راجع عن نسب أم أبي الفضل عليه السلام: السرائر للشيخ ابن إدريس الحلي: ج١، ص٦٥٦.

اللقب

قمر بني هاشم، لوسامته وجماله.

الولادة

٤ / ٨ شعبان / ٢٦ هـ.ق.

الشهادة

استشهد فداءً لإمامه وأخيه الحسين عليه السلام في كربلاء في ١٠ / ١ / ٦١ هـ.ق.

العمر الشريف

٣٤ سنة.

القاتل المباشر

زيد بن رقاد الجنبي، وحكيم بن الطفيل الطائي النبسي[1]، عليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

ذريته

عُبيد الله بن العباس بن علي ـ وهو من العلماء ـ.

وقد ذُكر في مجموعة من كتب النسب والمقاتل فبنوته لأبي الفضل محل اتفاق، ولم يحصل هذا لغيره وإن ذُكر أن لأبي الفضل عليه السلام غيره حتى أن مجموع ما ذكروه له: ثلاثة ذكور وبنتان.

---

(١) راجع هامش الملهوف: ص١٤٨، فقد ذكر لهذا مجموعة من المصادر.

ومنهم:

العباس بن الحسن بن عبيد الله بن العباس، وصف بأنه اشعر ولد أبي طالب[1].

وللعباس ـ هذا ـ أخوة، علماء فضلاءهم: محمد، وعبيد الله، والفضل، وحمزة[2].

ومن ذرية أبي الفضل أيضاً:

الحمزة بن القاسم بن علي بن حمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام وهو صاحب المرقد المعروف جنوب الحلة في قرية تعرف باسمه.

الزوجة

كان أبو الفضل عليه السلام متزوجاً من لبابة بنت عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب.

أسد الأسود

قيل: إن العباس ـ كاسم ـ من العبوس، وإن والده الإمام الوصي إنما سماه بهذا الاسم لأنه استشف من وراء الغيب أنه سيكون بطلاً من أبطال الإسلام وسيكون عبوساً في وجه المنكر والباطل[3].

---

(١) كتاب العباس للسيد المقرم: ص٣٥٠.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٤٩، ص٢٣٣ و ج٤٢، ص٧٥.

(٣) العباس بن علي للشيخ القرشي: ص٣٠.

لكن هنا وجه آخر، لعله أولى وأقرب، بل لعله المتعين.

إن أمير المؤمنين صلوات الله عليه وسلامه إنما سمى وليده الحبيب بالعباس تسمية له بأحد أسماء الأسد.

فإن للأسد أسماء كثيرة متداولة بين العرب المتقدمين، وقد نص اللغويون على وضع هذه الألفاظ للأسد أو على استعمالها فيه.

وهي كثيرة: الأسد، الليث، حيدرة، الضيغم، الحارث.

ومنها: العباس.

ففي المنجد: العباس... من أسماء الأسد[1].

بل في المعجم الوسيط: العباس: الأسد الذي تهرب منه الأسود[2].

ولعله يتبين من نص المعجم الوسيط ـ على فرض تماميته ـ وجه اختيار أمير المؤمنين عليه السلام لاسم العباس من بين الأسماء الأخرى التي تطلع على الأسد.

فكما أن للسيف أسماء كثيرة إلا أن بعضها تدل على بعض الآلة الحربية وزيادة كلفظ الصارم الذي هو اسم من أسماء السيف ويدل على خصوصية فيه تفضل بها على بقية السيوف وهي كون هذا السيف قاطعاً ولعل بعض السيوف لا تبرز فيه هذه الخصوصية واضحة ومع ذلك فيسمى بالسيف، إلا أنه لا يسمى بالصارم.

فكذلك لفظ العباس فإنه يدل على الأسد مع خصوصية في هذا الأسد وهو كونه من القوة وخصائص الأسد الأخرى بحيث تهرب منه بقية الأسود فضلاً عن غيرها من أنواع الحيوان.

---

(١) المنجد في اللغة: ص٤٨٤.

(٢) المعجم الوسيط: ص٥٨٠.

والملاحظ استعمال الأسماء المترادفة التي يراد منها الأسد في هذه الأسرة العظيمة. فجدّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه ـ من طرف أمه ـ: أسد.

وأمير المؤمنين نفسه له اسم آخر وهو الاسم الأول له، سمته به أمه بعد ولادته وهو: حيدرة والحيدرة من أسماء الأسد.

والعباس، من أسماء الأسد بل هو ـ كما يصح التعبير به ـ أسد الأسود، وهو الأسد الذي تهرب منه الأسود، أو الأسد الذي صفات الأسديّة فيه قوية جداً يعلو بها على أمثاله.

وهذا المطلب يجرنا إلى مطلب آخر أوسع وهو:

أ: الموقف الإسلامي في تسمية المواليد.

ب: السياق العام في التسمية والذي كان سائداً في مكة بل في جزيرة العرب ككل ولعله في عموم المعمورة.

أما المطلب الأول: فالإسلام يهتم بتسمية الوليد، بل يحبّذ أسماءً بعينها ويفضلها على سواها، ويُرَغّب الوالد بحسن اختيار الاسم لولده، بل ورد في الروايات الأمر بتسمية الجنين قبل أن يولد[1]، وبتسمية السقط أيضاً[2].

ومن أراد استيعاب ما ورد من روايات حول هذا الموضوع فليراجع كتاب جامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردي[3]، غير أنا نورد بعضها هنا.

فعن أبي الحسن الكاظم عليه السلام:

---

(١) وسائل الشيعة: ج٢١، ص٣٨٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) جامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردي: ج٢٦، ص٤٣٠.

«أول ما يبر الرجل ولده أن يسميه باسم حسن فليحسن أحدكم اسم ولده»[١].

وسأل أحمد بن أشيم مولانا الإمام الرضا عليه السلام: قال: قلت له: لم يسمي العرب أولادهم بكلب وفهم ونمر وأشباه ذلك؟

قال عليه السلام:

«كانت العرب أصحاب حرب، فكانت تهول على العدو بأسماء أولادهم، ويسمون عبيدهم: فرج، ومبارك، وميمون، وأشباه هذا يتيمنون بها»[٢].

وعن مولانا الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال:

«إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يغير الأسماء القبيحة في الرجال والبلدان»[٣].

كما ورد الحث على التسمية باسم محمد أو علي أو الحسن أو الحسين أو جعفر أو فاطمة[٤].

عن مولانا الصادق عليه السلام أنه سأل أحد أصحابه عن اسم مولوده الجديد فقال: سمّيته محمداً، فأقبل الإمام عليه السلام بخده نحو الأرض وهو يقول:

«محمد، محمد، محمد».

حتى كاد يلصق خده بالأرض، ثم قال:

«بنفسي وبولدي وبأهلي وبأبوي وبأهل الأرض كلهم جميعاً الفداء

(١) وسائل الشيعة: ج٢١، الباب٢٢ ،من أبواب أحكام الأولاد: ص٣٨٩.

(٢) وسائل الشيعة: ج٢١، ص٣٩٠.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) وسائل الشيعة: ج٢١، ص٣٩٦

لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لا تسبَّهُ ولا تضربه ولا تُسئ إليه، وأعلم أنه ليس في الأرض دار فيها اسم محمد إلا وهي تقدس كل يوم»[١].

وعن السكوني، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وأنا مغموم مكروب، فقال لي:

«**يا سكوني، مِمّ؟**».

قلت: ولد لي ابنة.

فقال عليه السلام:

«**يا سكوني، على الأرض ثقلها، وعلى الله رزقها، تعيش في غير أجلك، وتأكل من غير رزقك**».

فسرى والله عني، فقال لي:

«**ما سميتها؟**».

قلت: فاطمة.

قال عليه السلام:

«**آه، آه**».

ثم وضع يده على جبهته فقال:

«**قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: حق الولد على والده...**».

إلى أن قال الإمام الصادق عليه السلام:

«**أما إذا سميتها فاطمة لا تسبها، ولا تلعنها، ولا تضربها**»[٢].

---

(١) وسائل الشيعة: ج٢١، ص٣٩٣.

(٢) الكافي للشيخ الكليني: ج٦، ص٥١، ح٦، طبعة دار الأضواء.

وأمر الأئمة عليهم السلام بالاهتمام بتكنية الأولاد كالاهتمام بتسميتهم وقد ورد عن مولانا الإمام الباقر عليه السلام:

«إنا لنكنّي أولادنا في صغرهم مخافة النبز أن يلحق بهم»[(١)].

فالخط العام للتسمية في الإسلام هو تقليد المولود بالاسم الحسن الذي لا قباحة فيه بل فيه جهة حسن، فان الاسم مؤثر في الولد نفسياً واجتماعياً كما أن الوارد في النصوص أن اسم المرء مصاحب له في مختلف العوالم التي سيتحول إليها بعد عالم الدنيا وأمر مثل هذا جدير بالاهتمام حقا.

وطبيعة الاسم الحسن في الشرع الإسلامي ـ على ما ورد في النصوص ـ:

أ) ما تضمن العبودية لله سبحانه كعبد الله ونحوه.

ب) أسماء الأنبياء.

ج) اسم محمد وأحمد وعلي وحسن وحسين وجعفر وطالب وحمزة وحارثة وهمام للأولاد وفاطمة للبنات.

د) كل اسم حسن في العرف الاجتماعي ولذا تقدم التسمية بحارث وهمام فإنها من الأسماء الحسنة عرفا دون أن تكون اسماً لنبي أو وصي أو مما تضمن معنى العبودية لله سبحانه، وكان العرف الاجتماعي أيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأوصيائه عليهم السلام يأنس للأسماء التي فيها تهويل على العدو إذ كانت الناس ـ وإلى يومنا هذا ـ تتأثر بهذا تفؤُّلاً وتطيراً. نعم لا تخلو تسمياتهم من استعمال كلمات قبيحة أو غير مرضية في الجملة فيستعملون للتسمية: كلب ومعاوية ـ اسم كلبة ـ وصخر ونحوها.

---

(١) وسائل الشيعة: ج٢١، ص٣٩٣، ح٣.

فهذّب الإسلام هذا الجانب ـ كحاله في كل الأمور الدائرة في المجتمع ـ فأبقى حسنها ونهى عن قبيحها.

والعباس من الأسماء الحسنة جداً في المجتمع يومذاك بل إلى يومنا هذا ـ خصوصاً مع ملاحظة أن سبب التسمية هو كونه من أسماء الأسد أو لأنه بمعنى أسد الأسود لا أن صاحبه كثير العبوس والتجهم ـ وازداد هذا الاسم شرفاً وعلواً لاقترانه بشخص أبي الفضل العباس بن علي بن أبي طالب عليهم السلام فهو من الأسماء المحببة جداً عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية والذين يدور حبهم وبغضهم مدار ما يحبه محمد وآل محمد ويبغضونه.

نعم ورد في النصوص النهي عن الأسماء القبيحة وعن التسمية بأسماء معينة ومنها أسماء أعداء النبي وآله صلى الله عليه وآله وسلم.

(إنّ الشيطان إذا سمع منادياً ينادي: يا محمد أو يا علي عليه السلام ذاب كما يذوب الرصاص، حتى إذا سمع منادياً ينادي باسم عدو من أعدائنا اهتز واختال)[١].

هذا ما يتعلق بالمطلب الأول وقد أشرنا في ثناياه إلى بعض ما يتعلق بالمطلب الثاني والتوسع فيه ليس من أهداف كتابنا فنكتفي بهذا المقدار.

قمر بني هاشم

اشتهر العباس بن علي بن أبي طالب عليهم السلام بكنيةٍ ولقب.

فالكنية: أبو الفضل.

واللقب: قمر بني هاشم.

---

(١) وسائل الشيعة: ج٢١، ص٣٩٣، ح٣.

قالوا: كان العباس رجلاً وسيماً جميلاً... وكان يقال له: قمر بني هاشم[1].

باب الحوائج

اشتهر أبو الفضل العباس بن علي بن أبي طالب عليهم السلام عند عامة الشيعة، وعند شيعة العراق بالخصوص بأنه باب من أبواب الله سبحانه لقضاء الحوائج ولرفع الكروب ولدفعها.

وأنا أحد الذين شملهم لطف الله سبحانه من هذه الجهة؛ إذ عوفيت من علة شديدة لزمتني واستحكمت فتوسلت إلى الله سبحانه داعياً بالشفاء منها وأنا ممسك بالضريح المقدس لأبي الفضل فما هي إلا أيام يسيرة حتى عوفيت منها وإلى يومي هذا ـ وكان هذا قبل عشرين عاماً ـ ولو أردنا نقل أسماء من نال من بركات أبي الفضل وقضى الله سبحانه له الحوائج بعد التوسل بحرمته لطال بنا المقام، والأمر مسلّم عند شيعة العراق.

وإضافة إلى معرفته بأنه باب للحوائج عند الشيعة فإن الحلف باسمه كذباً سبب لبلاء أو لكارثة تحيق بالكاذب، ومن نافلة القول أن نؤكد أن شيوع هذين الأمرين عنه ـ مع عدم اشتهار الأئمة المعصومين عليهم السلام بهذين الأمرين معاً خصوصاً الثاني منهما ـ ليس بلا سبب ومن الواضح حصول حوادث كثيرة أكدت هذين الأمرين عند الشيعة وصححت نسبتهما إلى أبي الفضل، بشكل لا يبقى معه وجه للمدافعة فيه أو للتحقيق حوله.

---

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٩.

أبو الفضل عليه السلام في الروايات

عن علي بن الحسين عليه السلام إنه نظر يوماً إلى عبيد الله بن العباس بن علي عليه السلام، فاستعبر، ثم قال:

«ما من يوم، أشد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من يوم أحد، قتل فيه عمه حمزة بن عبد المطلب، أسد الله وأسد رسوله.

وبعده يوم مؤتة، قتل فيه ابن عمه جعفر بن أبي طالب.

ولا يوم كيوم الحسين عليه السلام، إزدلف إليه ثلاثون ألف رجل، يزعمون أنهم من هذه الأمة، كل يتقرب إلى الله عزّ وجل بدمه، وهو يذكّرهم بالله فلا يتعظون، حتى قتلوه بغياً وظلماً وعدواناً».

ثم قال عليه السلام:

«رحم الله العباس، فلقد آثر، وأبلى، وفدى أخاه بنفسه، حتى قُطعت يداه، فأبدله الله عزّ وجل منهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة، كما جعل لجعفر بن أبي طالب عليه السلام، وإن للعباس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة»[1].

---

(١) إبصار العين للشيخ محمد السماوي: ص٥٧، وقد تقدم نقله عن الخصال: ح١٠١، من باب الاثنين: ص٦٧؛ والرواية صحيحة بشهادة النمازي كما في مستدركاته على معجم الرجال: ج٤، ص٣٥٠.

وعن الإمام الصادق عليه السلام:

«كان عمنا العباس بن علي نافذ البصيرة، صلب الإيمان، جاهد مع أبي عبد الله عليه السلام، وأبلى بلاءً حسناً، ومضى شهيداً»[١].

وفي زيارة الناحية، عن مولانا الإمام المهدي إمام زماننا وسيد عصرنا: السلام على العباس ابن أمير المؤمنين، المواسي أخاه بنفسه، الآخذ من غده[٢] لأمسه، الفادي له، الواقي، الساعي إليه بمائه، المقطوعة يداه، لعن الله قاتليه، يزيد بن رقاد، وحكيم بن طفيل الطائي.

بعد المعصوم

بحثنا هذا للخروج عن حد الجهالة التام بأبي الفضل وليس مقصودنا الاستقصاء فإنه مما يعسر بل يتعذر، وليس مقامنا هنا مقام استقصاء.

أبو الفضل هو الرجل الأوحد في يوم الطف إلى جنب سيد الشهداء فلم يلحقه لاحق ولم يبلغ مرقاه راق ولكل أحد من أنصار الحسين عليه السلام فضله ولكل منهم خصيصته.

---

(١) إبصار العين: ص٥٧؛ وقد خرجه محققه عن الخصال ولم نجده في باب الاثنين كما صرح، ويظهر أن هذا سهو من محقق كتاب إبصار العين؛ إذ إن الموجود في الخصال إنما هو الرواية السابقة المتقدمة عن إمامنا السجاد عليه السلام ولا أثر فيه لهذه الرواية نعم، هي موجودة في عمدة الطالب كما ذكر المحقق وذكر هذا أيضا السيد المقرم في كتابه ـ العباس عليه السلام ـ: ص٢٠٨، وصرح بأن صاحب العمدة نقلها عن ابي نصر البخاري النسابة عن المفضل بن عمر عن الإمام الصادق عليه السلام، ومن الغريب أن محقق الكتاب يذكر رقم ٨٦ للرواية عن الخصال، ولم يذكر الرواية أو رقم صفحتها ـ مع أنها غير موجودة فيه ـ أي في باب الاثنين بحسب تصريحه.

ثم أنه ذكرت هذه الرواية في كتاب: علي بن أبي طالب للريشهري: ج١، ص١٣٤، نقلاً عن سر السلسلة العلوية لأبي نصر البخاري وعن عمدة الطالب بدون ذكر: بن علي.

(٢) هكذا في معجم رجال الحديث للسيد الخوئي: ج٩، ص٢٣٦، والظاهر أنه خطأ، والصحيح ما في البحار: ج٤٥، ص٦٦؛ الآخذ لغده من أمسه.

ولم يبلغ به هذا لشجاعته وإقدامه وبسالته في ساحة الكفاح فقط بل لعقيدته الصلبة وعلمه الجم وخلقه السامي ونجدته وغيرته... .

فكل موقف من مواقفه، ينطق بصفات كريمة عدة فيه.

في ساحة المعركة وبينه وبين الموت سويعات، وما من أمل في حياة أو حل ينهي المأساة، يعرض عليه الأمان لو ترك ساحة النزال وكان يمكن له أن يختاره لأمور، منها: أن يحفظ البيت الهاشمي، وأن يحفظ المسيرة بعد أخيه، ونحو هذا، إضافة إلى أن الإمام عليه السلام قد عرض على الجميع الرجوع وأباح لهم اختياره.

لكن صلابته وإيمانه الراسخ لم يمهلاه للتفكير في الأمر أو للتشاور فيه، بل رد ذلك العرض اللئيم الذي يعطي لكل أحد فرصة الحياة، ويحرم الإمام المعصوم، ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وريحانته من الدنيا، من مثل هذا الخيار.

أبو الفضل عَلّمَ الأجيال بحق: الموقف الصحيح الذي يجب أن يتخذه كل ذي مروءة فضلاً عن كل مسلم أو مؤمن مع إنسان هو خليفة الله في الأرض، وهو بِغَضِّ النظر عن هذا: الإنسان الكامل الذي لا يريد للبشرية غير السعادة والخير، ولا يبغي لها غائلة أو يطوي في صدره لها غلاً أو يعمل ليستدر منها منفعة بل هو من السائرين على طريق أهل هذه الآية:

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾[1].

الإمام واسطة الفيض، وهو الذي لولاه لساخت الأرض بأهلها.

الإمام هو الشاهد على الناس يوم القيامة، وهو الفيصل في دخول أحد إلى الجنة أو النار، وهو في صف الأنبياء عليهم السلام في الدنيا والآخرة بل الأدلة أكدت

(١) سورة الإنسان، الآية: ٩.

أفضليته عليهم باستثناء النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم، فكيف نتواهب الحياة ويحرم الإمام منها: فبئست الحياة التي تنال وتعاش بموافقة ابن زياد وشمر ويقف ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ممنوعاً منها.

رفضها أبو الفضل غير مانٍّ برفضه بل لو استطاع لوهب كل وجوده ليحيا أخوه الحسين خليفة الله في الأرض وإمام الأمة ووارث مقام رسول الله بنص الكتاب والسنة.

كان أبو الفضل للحسين كعلي بن أبي طالب لرسول الله.

كان وزيره، ومستشاره، وقائد جيشه.

كان يمثل السلطة التي تأتي بعده إذ لا يتقدم عليه أحد غير وصي الحسين عليه السلام: أي: علي بن الحسين زين العابدين وسيد الساجدين عليه السلام، والذي كان في مرض بحيث خشي عليه الموت وتوقعه له اليزيديّون، ولذلك نجا من القتل المحتم مرات في مراحل عدة.

وكما كان أمير المؤمنين يفدي الحسنين بمحمد ولده، كان الحسين يفدي السجاد بأبي الفضل العباس لمقام خلافة السجاد لله سبحانه في الأرض، مع الفارق العظيم بين العباس وابن الحنفية.

لكن العباس لم يتعامل مع أخيه الحسين من منطلق الوزارة أو قيادة الجيش أو نحوها من المناصب والعناوين بما يتعارف التعامل به ضمن مناصب اليوم.

لقد كان جندياً بتمام معنى الكلمة وفدائياً ذاهلاً عن ذاته بالتمام في طاعة الحسين عليه السلام.

أم البنين عليها السلام[1]

أم البنين: الكنية المتداولة بين الشيعة الإمامية، صغاراً وكباراً، رجالاً ونساءً، للسيدة فاطمة بنت حزام، زوجة أمير المؤمنين وأم العباس عليهم السلام وأخوته.

ولهذه المرأة الجليلة، مقام شامخ عند شيعة أهل البيت بسبب موقفها من الإمام الحسين عليه السلام ولتأثرها العظيم حينما بلغها خبر استشهاد الإمام عليه السلام، وكذا لتحليل السيدة زينب عليها السلام لها بعد رجوع العائلة الحسينية المكرمة إلى المدينة؛ إذ مع أن المفجوعة في الدرجة الأولى هي السيدة زينب عليها السلام عقيلة بني هاشم لموقعها في الأسرة وانتساب جميع شهداء بني هاشم إليها من أخ وابن أخ... الخ، ولمعايشتها لأحداث الطف بكل وجودها إلا أنها توجهت باهتمامها للسيدة أم البنين لاستشهاد أربعة من أولادها الكرام في الطف.

على أن للشيعة في أم البنين معتقداً كبيراً بمقام سام لها عند الله تبارك وتعالى

(١) ذكر لأم البنين ترجمة مختصرة في موسوعة الإمام علي للريشهري: ج١، ص١١٣.

وبكون التوسل بها إلى الله جل وعلا سبباً لإجابته تعالى الدعاء ولكشفه الكروب ولقضائه الحوائج وهذا الأمر عند الشيعة من المعروفية بمكان.

إلا أن الباحث السيد المقرم أصر على أن أم البنين كانت عند شهادة أولادها الأربعة راحلة عن ساحة الدنيا فعلى هذا فإنه يكذّب[1] كل ما توفر من أخبار تتعلق بشأنها قد ذكر فيها تأثرها لمقتل سيد الشهداء عليه السلام، وقد ذكر المقرم أدلة[2]، سجلها في كتابه ـ مقتل الحسين عليه السلام ـ والغريب أنه لم يتعرض لهذا الموضوع من قريب أو بعيد في كتابه ـ العباس عليه السلام ـ وهو أنسب بالموضوع.

---

(١) يكذب ـ وفي الأقل: يضعف.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للسيد المقرم: ص٣٣٧.

ذرية أبي الفضل عليه السلام

كل مستطلع لأخبار الطف ومجريات أحداثها ممن عاش تلك الفترة يعلم أن نسل علي عليه السلام من الحسن والحسين ونسل عقيل وأسر أخرى حضرت وقائع الطف انقطع وإلى الأبد.

ذلك أن بني أمية بحسب الأوامر التي أصدروها لجندهم قد عزموا ـ بل صرخوا بها يوم الطف ـ أن لا يبقوا للبيت النبوي ولأطرافه باقية.

فتراهم يقتلون مشايخ بني هاشم ولا يستثنون الصغار بل الرُضع.

غير أن المولى سبحانه وعد نبيه الأكرم الوعد الأكيد بأنه أعطاه الكوثر وبأن شانئه الأبتر.

وقد بدأ الوعد الإلهي بالانجلاء والظهور التام بعد الطف وإلى يومنا هذا.

فهذه ذرية النبي الأكرم من الحسن والحسين تملأ ديار الإسلام بل تنتشر في كل صقع من أصقاع الأرض وليس في كل اسر الأرض أسرة كهذا البيت الطاهر كثرة وانتشاراً وظهوراً.

ثم لك أن تتساءل وتستجلي الحال في ذرية بني أمية، وأبي لهب، وأبي جهل،

وآل العاص، وكل من ناوأوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعادوه وعابوه وسخّروا كل قواهم وإمكاناتهم لدحض دعوته ولإيقاف زحفه.

وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدّل لكلماته.

أما أبو الفضل فقد ذكر السيد الخوئي في معجم رجاله، عن ابن شهر آشوب أن له ابناً بين الأسرى هو عبد الله بن العباس[١].

وذكر القاضي المغربي مثل ذلك[٢].

ثم نجد صاحب كتاب (سر السلسلة العلوية) يذكر أنه أحصى ذرية أبي الفضل فكان عددهم سنة ٢٢٧ هـ.ق، ١٤٠ رجلاً و٢٣٠ أنثى[٣].

وفي هؤلاء الذرية: المجاهدون والعلماء والشعراء وأفذاذ الأمة وقادتها.

ومن الشخصيات المهمة في ذرية أبي الفضل العالم الجليل: حمزة بن القاسم ابن علي بن حمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام، أبو يعلى.

وكان جليل القدر في طائفة الإمامية له مؤلفات عدة، وقبره يبعد عن مدينة الحلة في العراق بفراسخ أربعة في بلدة تعرف باسمه، وله مزار معروف مشهور[٤].

كما ذكر صاحب مقاتل الطالبيين عدة من ذرية أبي الفضل قد استشهدوا على يد جبابرة الأمة وطواغيتها وفراعنتها منهم محمد بن القاسم ومحمد بن عبد الله بن محمد بن القاسم ومحمد بن حمزة وداود بن محمد وكلهم يرجع نسباً إلى أبي الفضل[٥].

---

(١) معجم رجال الحديث للسيد الخوئي: ج٢٠، ص٨٢.

(٢) شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي: ج٣، ص١٩٨.

(٣) الكليني والكافي للغفاري: ص٨٠، عن سرّ السلسلة العلوية لأبي نصر البخاري.

(٤) راجع: معجم رجال الحديث للسيد الخوئي: ج٦، ص٢٧٦.

(٥) راجع: مقاتل الطالبيين للأصفهاني الأموي: ص٤٣٦، وص٤٤٥، وص٤٤٨، وص٤٥٨.



الثورة الحسينية

النهضة الحسينية المباركة

يثير البعض ــ سواءٌ أكانوا مخلصين متعلمين أم مرجفين ــ مجموعة من التساؤلات تتعلق بالثورة الحسينية الرائدة لمقارعة الظلم ومكافحته، المحفزة لمناوأته، والمشعل الوضاء في درب الفداء.

منها: علة قيام سيد الشهداء بثورته بذلك العدد القليل والإمكانيات المتواضعة أمام إمكانيات دولة جبارة تحتل مساحة واسعة من الأرض يومذاك قد تقدر اليوم بما يعادل الثلاثين دولة ـ على اختلاف رقع الدول مساحة من كبر وصغر وعلى اختلافها في الإمكانيات المالية والسكانية والعسكرية ــ كما أن المتصدين لأمور تلك الدولة عرفوا بتمام البطش وعدم التورع عن عمل أي شيءٍ، من سفك دم بطرقه الكثيرة، ومن إيداع في السجن ـ وحدث عن سجونهم وفجائعها ولا حرج ـ ومن تشريد، وهدم للمنازل، واستيلاء على الأموال، إلى غير ذلك من طرق الانتقام، بكل من تحدثه نفسه لمعارضتهم فضلاً عن العمل المسلح لإسقاطهم وإنهاء دولتهم.

فهذا القيام من الإمام الحسين عليه السلام لا يعدو كونه إلقاءً لنفسه المقدسة في التهلكة بدون فائدةٍ تجنى بل سيؤدي إلى استحكام قبضة الطغاة على الأمة.

وتساؤل آخر: عن السر في أن الإمام عليه السلام كان يأمر بعض من يلتقيه بالالتحاق بثورته والفوز بنصرته، ويدعو بعضاً آخر إلى الرجوع وإنجاء نفسه من نتائج هذه المعركة مع أن بين هذين المسلكين مضادة واضحة، وغرابة تستدعي كشف الوجه فيه ومعرفة إن كان السبب شخصياً، أو فقهياً، أو غيبياً.

أما عن الوجه في قيام الإمام عليه السلام بثورته بذلك العدد القليل وتلك الإمكانيات الضئيلة أمام إمكانيات هائلة مع أن ثورة كهذه فشلها واضح جداً لدى كل أحد فضلاً عن الإمام المعصوم المسدد:

إن الإمام الحسين عليه السلام:

١ ـ إمام معصوم مسدد من الله سبحانه، وذلك لدلالة آية التطهير وحديث الثقلين وغيرهما من النصوص الكثيرة المروية في كتب عامّة فرق المسلمين.

ولما كان الإمام معصوماً أصبح السؤال بلم وكيف، عمّا صدر منه نافلةً من القول وبلا موجب وخطأ في السلوك قد يكشف عن ركاكة إيمان المرء وحيرته في دينه.

نعم، قد يكون الوجه في التساؤل، هو معرفة التكليف الإلهي في مثل هذه الوقائع والاسترشاد بطريقة الإمام في إدارة الأحداث وهذا يكشف عن جانب إيمانيّ في المتسائل.

٢ ـ إنه ذو خبرة واسعة في الحكم وإدارة شؤون الدولة والمجتمع كما أنه ذو خبرة ممتازة في الشؤون العسكرية فهو يقدّر الوضع العام بكل جوانبه بدقة ويقدّر إمكانيات الطرفين مع ملاحظة الحكم الشرعي المناسب مع هذا الظرف.

٣ ـ إنه قد تهيأت له الإمكانيات الجيدة للنصر وتحقيق الهدف، بحكم المتاح من أسباب النصر، فهو قد بدأ معركته بما تقتضيه ساحة الصراع إلاّ أن تطورات الأحداث

أدّت إلى انعكاس نتائج المعركة لما قامت به السلطة من بطش وتنكيل، ولتكن معركتا أحد وحنين نصب أعيننا عند دراسة الحركة الحسينية.

إن الإمام سلام الله عليه لم يخرج من مكة إلى الكوفة إلاّ بعد تهيؤ عوامل عدّة:

١) وجود تذمر عام من الحكم الأموي، ويتمركز هذا التذمر على نحو الخصوص في مجموعة من المواطن على رأسها الكوفة لما لاقته من بني أميّة وولاتهم من أقسى أنواع الجور والتنكيل والفجائع عبر سنين طويلة.

٢) استنصار الناس بالحسين عليه السلام لنجدتهم وللعمل على تغيير الأوضاع ووضع حدّ لاستهتار البيت الأموي وعبثهم بالبلاد والعباد والأموال والدين.

٣) معاهدة الآلاف من أهل الكوفة وغيرها للإمام عليه السلام على نصرته ومؤازرته في نهضته حتى تحقيق الهدف منها، وإنهم يفدونه بالأنفس والأموال والأهل وكل نفيس دون نفسه المقدّسة.

٤) إن الإمام عليه السلام الأوفر سهماً في تولي زمام أمر الأمة الإسلامية بعد هلاك معاوية؛ إذ إن الاتفاق قد جرى في عقد الصلح على أن يترك الخيار للأمة في تحديد الخليفة بعد موت معاوية ـ أو تعود الخلافة إلى الحسن أو الحسين عليهما السلام على رواية[1] ـ وطبيعي أن الأمة ستختار الإمام الحسين عليه السلام وذلك أن وقائع

---

(١) صرّح ابن الزبير في خطبة له بمكة أنه كان للإمام الحسين عليه السلام بيعة في عنق معاوية وقد نقضها الأخير ببيعته ليزيد، قال: ثمّ إنه أخذ البيعة لابنه يزيد في حياته، ونقض ما كان في عنقه من بيعة الحسين بن علي عليهما السلام. راجع: مقتل الحسين عليه السلام لابن أعثم: ص١٨٠.

وهذا يقوّي ما نقل من أن عقد الصلح بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية قد تضمّن إرجاع الخلافة إلى الإمام الحسن عليه السلام بعد معاوية ومع وفاة الإمام الحسن عليه السلام ترجع إلى الإمام الحسين عليه السلام، ومما يقوّيه أيضاً اغتيال معاوية للإمام الحسن عليه السلام مع أنه ترك له الحكم وهناك شواهد أخرى.

الأحداث أثبتت أن الأمة تتوجه إلى أهل البيت النبوي عليهم السلام حالما تترك وشأنها، وقد حصل هذا لأمير المؤمنين علي عليه السلام من بعد عثمان وللإمام الحسن عليه السلام بعد استشهاد الإمام الوصي عليه السلام وللإمام الحسين عليه السلام بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام ـ مع وجود معاوية في السلطة بتفرعنه وتجبّره ودمويته ـ.

ومعنى ما تقدم: أن الصلح ـ بصيغته المتقدّم ذكرها ـ يوفّر أرضية مهمة لتوجّه الأمة للإمام عليه السلام كما يوفّر الأرضية لنجاح حركته ونهضته.

والذي يسهّل للإمام نجاحه ـ أيضاً ـ مؤهلاته العظيمة التي لا يضاهيه فيها أحد من الأمة كائناً من كان وما ثبت بالنص القطعي الدال على إمامته وزعامته وخلافته وقيامه مقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والنصوص هذه مروية في كتب شتى فرق المسلمين إلاّ أن البعض لا يلتزم بلوازم هذه النصوص خوفاً من أمور منها:

ألف: أنها تهدم أركاناً عدة قامت عليها هذه الفرق وبانهيارها تنهار تلك المذاهب؛ إذ تفقد مسوّغ وجودها كمذهب متميز له حدوده بين فرق المسلمين.

باء: إن بعض الفرق لا تؤمن إلاّ بمبدأ الأمر الواقع ولا تخضع إلاّ له ولّما لم يتمكّنْ الإمام السبط الشهيد من منصب الخلافة ولم يتسلّمه فهي لا تلتزم بإمامته بينما تلتزم بإمامة وخلافة كل متغلّب على الأمة بالقهر والسيف.

٥) يذكر البعض أن سيد الشهداء سلام الله عليه خرج من مكة وكان عدد من معه يقارب خمسة الآلاف، كما أن من المعلوم أنّ أهل الكوفة قد عاهدوه على نصرته وفداء أنفسهم في سبيله وسبيل قضيته إضافة إلى أنه عليه السلام بعث إلى البصرة بكتاب طالباً النصرة فجاءه جيش من تلك الجهة لنصرته.

إلاّ أن هذا الجيش ـ وهو في طريقه للالتحاق بالإمام ـ بلغه استشهاد الإمام عليه السلام فرجع أدراجه.

إضافة إلى أن هناك توتراً هائلاً في المدينتين ـ مكة والمدينة ـ ضد الحكم القائم وعلى وشك الثوران، إذ في مكة عبد الله بن الزبير ـ وهو متهيئ لإعلان الثورة ـ وهذا مما يعضد عملية هدم كيان الدولة الجائرة ويدفع بسيد الشهداء سلام الله عليه في مسيرته نحو هدفه، كما أن أهل المدينة أعلنوا ثورتهم عقب استشهاد الإمام عليه السلام ـ ومعنى هذا توفّر الإمكانيات المادية والمعنوية لديهم لمعاضدة ثورة الإمام عليه السلام ـ.

فالقصد أن سيد الشهداء عليه السلام لم يبدأ حركته بسبعين رجلاً كي يثار سؤال عن الجدوى من حركته وكونها إلقاءً للنفس في التهلكة أم لا.

فإنه يجاب بأن بدء الحركة كان بهذه الجموع الغفيرة الوفيرة ولم تبدأ بسبعين.

نعم لّما بلغ الإمام عليه السلام خذلان أهل الكوفة وتقاعسهم عما عاهدوه عليه واستحكام قبضة السلطة في الكوفة مما أدى إلى انهيار معنويات الناس واستسلامهم لبطش الدولة اتضح أنه لا جدوى من الحركة إن كان الهدف منها ـ فقط ـ إسقاط الدولة الجائرة، إذن فليس من البعيد أن الهدف قد تغيّر كما أنّ الخطّة أخذت منحى آخر، ولذلك أعلن على الملأ الذين معه استشهاد مسلم رضوان الله تعالى عليه وخذلان أهل الكوفة له وسمح للناس بالانصراف عنه لكنه عليه السلام استمر في نهضته:

«بسم الله الرحمن الرحيم: أما بعد، فإنه قد أتانا خبر فظيع قتل مسلم ابن عقيل وهانئ بن عروة وعبد الله بن يقطر وقد خذلنا شيعتنا فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف غير حرج ليس عليه ذمام»[1].

(١) الإرشاد للشيخ المفيد: ج٢، ص٧٥.

وهذا ما سنبحثه عند تناولنا لموقف الإمام عليه السلام من أصحابه الكرام[١].

٦) إن مسألة إلقاء النفس في التهلكة والحكم المتعلق بها مشوّشة في أذهان أبناء الأمة، فإن أصل نزول الآية المباركة:

﴿وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[٢].

على ما ذكرته الكتب المعنية بهذا الشأن هو أن جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يخرجوا إلى الجهاد فنزلت الآية المباركة محذرة لهم ومهددة ومبيّنة بأن ترك الجهاد إلقاء للنفس في التهلكة وهي النار التي هي مآل العصاة والمجرمين هذا أولاً، ومع التسليم ـ كما هو الصحيح ـ بشمول الآية لأمثال المورد الذي نحن بصدده فإن حركة سيد الشهداء عليه السلام خارجة تخصيصاً، إن لم نلتزم بخروجها تخصصاً عن الحكم المطلق في الآية المباركة حتى مع غضّ النظر عن مسألة عصمته وتسديده وتبصّره التام في أموره موضوعاً وحكماً وعاقبة.

وذلك: لأنّه عليه السلام أعدّ لنهضته مستلزماتها وخرج إلاّ أن الحركة السريعة للدولة للسيطرة على الوضع والأسلوب الإرهابي الذي اتبعته ومنها إعدامها لزعيم المعارضة في الكوفة مولانا مسلم بن عقيل رضوان الله تعالى عليه ومن أسنده كهاني وعبد الله بن يقطر وغيرهم، أدى بالحركة إلى عدم تحقيقها لأهدافها فوراً، وإن حققت أهدافاً عظيمة بالتدريج بل لعل ما تحقق بالتدريج لم يكن ليتحقق فيما لو استلم الإمام الحسين عليه السلام الحكم، ومصداق هذا ما حصل في دولة الوصيّ وفي أيام حكم المجتبى من فتن واضطرابات بسبب المنافقين وطابور معاوية في الكوفة أو

---

(١) راجع فصل: أخلاقيات كربلاء: من هذا الكتاب.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

لعوامل أخرى، غير أنّ نتيجة الحال في الكوفة إثر استشهاد الإمام الحسين عليه السلام هو نموّ نبتة التشيّع فيها شيئاً فشيئاً إلى أن استولت عليها.

وهناك أسباب كثيرة أخرى ذكرناها في موارد عدة في عدة من كتبنا ومقالاتنا وكلّها تصبّ في منحى أن حركة الإمام عليه السلام ناجحة مائة في المائة بحسب ظرف قيامها، نعم بدأت الأمور تتراجع من بعد ترك أهل الكوفة لمسلم إذ هدّدهم ابن زياد بجيش الشام ـ ولم يكن في البين جيش من الشام أو غيرها كما لم يحضر جيش كهذا أبداً، نعم تجمّعت فلول المنافقين والخوارج والأمويين من أهل الكوفة ونظّمت جيشاً كهذا وقتلت الحسين ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأسرت نساء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصبيته كما قتلت خيرة عُبّاد الأمة وأبدالها ـ.

إن عدّ قضية الحسين عليه السلام قضية في واقعة: إمّا لأنّها غير مطابقة للقواعد الفقهية أو للمسلمات المعروفة عن أهل البيت عليهم السلام في ظرف كهذا أو لعدم اتضاح ظروف الواقعة بما يمنع انسجامها مع القواعد والمسلمات فلابدّ من افتراض ظرف غير معلوم وغير واضح لنا أدى إلى اتخاذ الإمام عليه السلام لموقفه هذا.

ويتضح من خلال بياننا لأسباب الثورة أن الدوافع واضحة وظرفها يقتضي ما فعله الإمام عليه السلام فتخرج عن كونها ـ قضيّة في واقعة ـ نعم هناك أمور غير مفهومة للوهلة الأولى، مثل الإصرار على عدم البيعة ونتيجة هذا إصرار يزيد على قتله عليه السلام، ثم منها إصراره على الاستجابة لكتب أهل الكوفة مع كونهم أهل غدر ونكث وقد اشتهر هذا عنهم ولهم سوابق مع الإمامين عليهما السلام قبله عليه السلام، وإصراره عليه السلام على الذهاب إلى الكوفة، واختياره خصوص كربلاء

للاستشهاد، وامتناعه عن مقاتلتهم ابتداءً إلى غير هذه لكن لو تبينت لنا وجوه صحيحة لهذه الأمور والأمور الأخرى التي تستدعي الاستغراب والتساؤل فإن هذا سيرفع عنها، وبلا ريب، الحكم بأنها قضية في واقعة، وهو الذي نحاول الإسهام في تبيينه ـ مع بقية المهتمين بهذا الميدان ـ وذلك من خلال كتبنا ومقالاتنا.

ظفر متكامل ولكن...

عن علي أمير المؤمنين عليه السلام قال:

«لولا حضور الحاضر، وقيام الحجّة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء، ألا يقارّوا على كظّة ظالم، ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أوّلها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز»[١].

سؤال يطرح:

إنه إذا كان الإمام الحسين عليه السلام متيقّناً من الاستشهاد، مع ملاحظة أن حركته عليه السلام لم تكن عفو الخاطر، بل سبقتها مقدمات طويلة في هذا السياق.

وإنه معصوم من الله سبحانه، فهو ملتفت التفاتاً كاملاً إلى الموضوعات والأحكام فلا يزل في تشخيص موضوع ولا في تطبيق حكمه عليه بل هو العلم للأمّة والمنار لها وسبب الرشاد وهو السبيل إلى الله بعدما كان عِدل الكتاب وسفينة نجاة الأمة.

فما الشيء الذي كان يهدف الإمام إليه من وراء حركته، والظروف القاهرة التي تعيشها الأمة بمنظر منه ومسمع، بل إن بعض الحقائق قد شخّصها جمع أوفياء له فكيف تخفى عليه؟

---

(١) نهج البلاغة لأمير المؤمنين عليه السلام: الخطبة الثالثة:ج١، ص٣٦.

أحدهم يشير عليه بأن لا يقدم الكوفة إلاّ إذا أخرج أهلها أميرهم وأحكموا السيطرة على بلدتهم. والآخر يذكّره غدرهم بأبيه وأخيه، ... وهكذا.

ويمكن بعد التأمل في ثنايا النصوص والتواريخ وكتب المقاتل ـ مع عدم غض النظر عن مجريات الأحداث ونتائجها ـ أن نقول: إن هناك أحكاماً دينية ظاهرية ـ أي بحسب ظاهر الحال دون واقعه ـ على كل مسلم الالتزام بها لا فرق في ذلك بين النبي والإمام وعامة الأمة وعلى هذا تشريعات الكتاب والسنّة.

فحين يشرّع الله سبحانه للناس لزوم ترتيب أثر شهادة العدلين في مسائل المنازعات والمخاصمات والجنايات، ثم يأتي التشريع فيبيّن أن العدالة المطلوبة في الشاهد ـ هنا ـ هي بمقدار ما يكشف عنها حسن ظاهره والتزامه بأحكام الشريعة فإن النبي أول من يبادر إلى العمل بهذا الحكم الإلهي فلا يحتمل أن يؤسس للأمة لزوم الأخذ بظاهر الحال ثم لا يعمل هو بما أسّسه، بل يبحث عن واقع حال الشاهد، بل هو المنقول عنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنّما أقضي بينكم بالبينات والأيمان، وبعضكم ألحن بحجّته من بعض، فأيما رجل قطعت له من مال أخيه شيئاً فإنما قطعت له به قطعة من النار»[1].

والحسين عليه السلام استغاث به أهل الكوفة أكثر من عشر سنين وكانوا يعاهدونه على النصرة والطاعة، وكان عليه السلام يعلم أن همتهم تقصر عن مستوى وعودهم بل يعلم بعدم مصداقية الكثير منها. إلاّ أن ردّهم على أساس عدم مصداقية وعودهم مما لا شاهد له فعلاً خصوصاً بعد اكتوائهم بنار بني أمية وجحيم

---

(١) وسائل الشيعة: ج٢٧، ص٢٣٢، ح١.

خلافتهم وإصرار أهل الكوفة السنين الطوال على المكاتبة والمعاهدة، ثم إنّ القرآن العزيز يأمر بالقتال من أجل المستضعفين والحسين إمام الدين وخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الأمة، فكان ردّه عليه السلام: إن الوقت لم يحن لوجود معاوية في حدّ نفسه، ولوجود عقد صلح معه يمنعه عليه السلام من الخروج والثورة.

نعم بعدما استجاب لهم الإمام ـ خصوصاً وإنه لم يخرج من مكة حتى أتته آلاف الرسائل والمعاهدات منهم، ثم إنه أرسل إليهم مسلم بن عقيل فما رأى منهم إلاّ الثبات والإصرار، بل أخذ بيعة ثمانية عشر ألفاً منهم خلال أيّام ـ وتجاوز كل الموانع بينه وبينهم وإذا بهم ينقلبون على الأعقاب، ويتحوّل الكثير منهم إلى جند للطاغية ابن زياد ـ غير جمع ملأ ابن زياد بهم السجون ورفع البعض منهم على الأعواد صلباً وتعذيباً ـ ثم ما فتئوا حتى قتلوا الإمام وسبوا عياله وانتهبوا متاعه، فأصبح باطنهم ظاهراً وبدأ للجميع بشكل واضح السر في عقد الإمام الحسن عليه السلام للصلح مع معاوية، والوجه في إعراض الإمام الحسين عليه السلام عن إجابة دعوة أهل الكوفة لأكثر من عشر سنين، بل بدا بوضوح حقيقة حال الأمة مع الإمام الوصي أمير المؤمنين عليه السلام بعدما بايعوه سراعاً راغبين ثم انقلبوا على أعقابهم بالوزر مثقلين.

بل إن نتائج حركة الإمام الحسين عليه السلام حدّدت منهجاً ثابتاً لأئمة أهل البيت عليهم السلام من السجاد عليه السلام إلى المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ـ إلى حين ظهوره ـ.

فالعمل بأحكام الشريعة بحسب ظاهر الحال مما لا محيص عنه للنبي والوصيّ وبقية الأئمة عليهم السلام، بل لكل الأمة في قيام الشريعة إلى ظهور المهدي عليه

السلام بهذا، بل إنّ معظم الشريعة ستبقى إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، نعم، يتغير منها الأحكام التي اقتضتها الضرورة وظروف الغيبة والتقية، والتعبير الأصح هو أن بعض الأحكام ستتغيّر موضوعاتها عن ظرفها الفعلي، وسيصبح الحكم الملغى من قبيل السالبة بانتفاء الموضوع، فلا وجه لبقائه والعمل به، والحال هذه.

نعم كان النبي والأئمة عليهم السلام يظهرون في بعض الأحيان ويصرّحون بالحال الواقعي للشخص أو الحدث لمصالح يقتضيها تأييد الشريعة، أو هداية بعض الأمة، أو إرشاد الناس إلى قدرة المعصومين على التعامل مع واقع الحال ـ إذ هو منكشف لهم ـ وإنما لم تبتن الشريعة عليه ولم يؤمر الناس بالتعامل به لعدم قدرة الناس على التعامل وِفقَهُ، لعدم انكشافه لهم ولعلّ في البين حكماً وأسراراً أخرى.

فنتيجة هذا: أن ظاهر الحال لأهل الكوفة والأوضاع الراهنة اقتضى منه عليه السلام القيام بالتكليف المناسب لذلك الظرف العصيب، وإنْ علم من مصادر الغيب عدم بلوغه النتائج المرجوة سريعاً، باستشهاده هو وخيرة الأمة معه.

وبحلول كارثة سبي عائلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ نسائه وصبيته ـ على يد السلطة الأمويّة الكافرة، التي ساندها الكثير من المنتسبين ـ زوراً وادعاءً ـ إلى ساحة الأمة الإسلامية.

هذا وقد توسعنا في هذا المجال في كتابين آخرين لنا حول الثورة الحسينية المظفرة هما: (الإمام الحسين عليه السلام في مواجهة قوى الردّة)، و(مسلم بن عقيل) فلا حاجة للبسط فيها هنا، والله الموفق.



الإمام الحسين عليه السلام

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الواجبات وأهمها وبهما تستقيم بقية الفرائض وتؤدّى.

وارتباط قضية الحسين عليه السلام بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الواضحات، بل لعل كونها من آثاره ونتائجه من المعلوم عند كل أحد وقد نقل عن الإمام الحسين عليه السلام:

«وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله وسلم، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدّي وأبي»[1].

إلاّ أن هذا ليس الموقف الوحيد.

فإن للأمر والنهي موردين مركزيين:

فمرة يكون الأمر والنهي في حالات جزئية فردية ضيّقة حينما يعصي امرؤ معصية ما، فإنه يؤمر ويُنهى بالمراتب المعروفة فإن انتهى وإلا حرض عليه الآخرون، أو قوطع، وأهمل.

---

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٤٤، ص٣٢٩.

ومرة يكون مورد الأمر والنهي حالات مهمة ضخمة يكون طرفها السلطان والدولة والجماعة المستأسدة ونحو هؤلاء.

والحسين مارس الأمر والنهي مع طواغيت بني أمية بل مع فرعونهم وهو في قمة تفرعنه وطغيانه وتمكّنه، وذلك حين كتب معاوية إليه يرهبه ويتوعده فأجابه الإمام بأروع كتاب أذل به عزه وشموخه وكبرياءه، وفي حكاية كتابه عليه السلام وكتاب معاوية فوائد لا نرغب فواتها:

فقد روي: أن مروان بن الحكم كتب إلى معاوية ـ وهو عامله على المدينة ـ:

أما بعد: فإن عمرو بن عثمان ذكر أن رجلاً من أهل العراق ووجوه أهل الحجاز يختلفون إلى الحسين بن علي وذكر أنه لا يأمن وثوبه، وقد بحثت عن ذلك فبلغني أنه لا يريد الخلاف يومه هذا، ولست آمن أن يكون هذا أيضاً لما بعده فاكتر إليّ برأيك في هذا والسلام.

فكتب إليه معاوية: أما بعد: فقد بلغني ما ذكرت فيه من أمر الحسين، فإياك أن تعرض للحسين في شيء، واترك حسيناً ما تركك، فإنا لا نريد أن نعرض له في شيء ما وفي بيعتنا ولم ينازعنا سلطاننا، فاكمن عنه ما لم يبد لك صفحته[1] والسلام.

وكتب معاوية إلى الحسين بن علي عليهما السلام: (أما بعد، فقد انتهت إليّ

---

(١) لاحظ كيف يوجه معاوية ولاته للتعامل مع الإمام الحسين عليه السلام في هذه الجملة والتي قبلها، إذ توجيهه ـ بحسب هذا النص ـ أن لا تعرضوا لحسين ما لم ينازعنا سلطاننا ونحو هذا من التعابير فإذا نازعهم سلطانهم فإن طريقة التعامل مع الإمام ستكون مختلفة، ولهذا فأنا في تمام الشك من كل نصٍ عن معاوية يحوي توجيهه لولاته وليزيد بالتعامل اللين مع الإمام حتى لو نهض وثار ضدهم بل أقطع ببطلانه.

أمور عنك إن كانت حقاً فقد أظنك تركتها رغبة فدعها، ولعمر الله إنّ مَن أعطى الله عهده وميثاقه لجدير بالوفاء، فإن كان الذي بلغني باطلاً فإنك أنت أعزل الناس لذلك، وعظ نفسك فاذكر، وبعهد الله أوف، فإنك متى ما تنكرني أنكرك، ومتى ما تكدني أكدك، فاتق شق عصا هذه الأمة، وأن يردهم الله على يديك في فتنة، فقد عرفت الناس وبلوتهم، فانظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد، ولا يستخفنك السفهاء والذين لا يعلمون.

فلما وصل الكتاب إلى الحسين صلوات الله عليه كتب إليه:

أما بعد: فقد بلغني كتابك تذكر أنه قد بلغك عني أمور أنت لي عنها راغب، وأنا بغيرها عنك جدير، فإن الحسنات لا يهدي لها ولا يسدد إليها إلا الله.

وأما ما ذكر أنه انتهى إليك عني، فإنه إنما رقاه إليك الملاقون المشاؤون بالنميم، وما أريد لك حرباً ولا عليك خلافاً، وأيم الله إني لخائف لله في ترك ذلك، وما أظن الله راضياً بترك ذلك ولا عاذراً بدون الإعذار فيه إليك وفي أولئك القاسطين الملحدين حزب الظلمة، وأولياء الشياطين.

ألست القاتل حُجراً أخا كندة والمصلّين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم ويستعظمون البدع ولا يخافون في الله لومة لائم، ثم قتلتهم ظلما وعدواناً من بعد ما كنت أعطيتهم الأيمان المغلظة، والمواثيق المؤكدة ولا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم ولا بإحنةٍ تجدها في نفسك.

أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العبد الصالح الذي أبلته العبادة، فنحل جسمه، وصفرت لونه، بعدما أمنته وأعطيته من عهود الله ومواثيقه ما لو أعطيته طائراً لنزل إليك من رأس الجبل، ثم قتلته جرأةً

على ربك واستخفافاً بذلك العهد.

أولست المدعي زياد بن سميّة المولود على فراش عبيد ثقيف فزعمت أنه ابن أبيك، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«الولد للفراش وللعاهر الحجر».

فتركت سنة رسول الله تعمداً وتبعت هواك بغير هُدىً من الله ثم سلطته على العراقين، يقطع أيدي المسلمين وأرجلهم، ويسمل أعينهم ويصلبهم على جذوع النخل كأنك لست من هذه الأمة وليسوا منك.

أولست صاحب الحضرميين الذي كتب فيهم ابن سمية إنهم كانوا على دين علي صلوات الله عليه فكتبت إليه: أن أقتل كل من كان على دين علي، فقتلهم ومثل بهم بأمرك، ودين علي عليه السلام والله الذي كان يضرب عليه أباك ويضربك، وبه جلست مجلسك الذي جلست، ولولا ذلك لكان شرفك وشرف أبيك الرحلتين.

وقلت فيما قلت: انظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد، واتق شق عصا هذه الأمة، وإن تردهم إلى فتنة، وإني لا أعلم فتنةً أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها ولا أعلم نظراً لنفسي ولديني ولأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم علينا أفل من أن أجاهدك فإن فعلت فإنه قربة إلى الله، وإن تركته فإني استغفر الله لذنبي، وأسأله توفيقه لإرشاد أمري.

وقلت فيما قلت إني إن أنكرتك تنكرني وإن أكدك تكدني، فكدني ما بدا لك فإني أرجو أن لا يضرني كيدك في، وأن لا يكون على أحد أضر منه على نفسك، لأنك قد ركبت جهلك، وتحرصت على نقض عهدك، ولعمري ما وفيت بشرط

ولقد نقضت عهدك بقتلك هؤلاء النفر الذين قتلتهم بعد الصلح والإيمان والعهود والمواثيق، فقتلتهم من غير أن يكونوا قاتلوا وقتلوا، ولم تفعل ذلك بهم إلا لذكرهم فضلنا وتعظيمهم حقنا فقتلتهم مخافة أمرٍ لعلك لو لم تقتلهم مت قبل أن يفعلوا أو ماتوا قبل أن يدركوا.

فأبشر يا معاوية بالقصاص، واستيقن بالحساب، واعلم أن لله تعالى كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وليس الله بناس أخذك بالظنة، وقتلك أولياءه على التهم، ونفيك أولياءه من دورهم إلى دار الغربة وأخذك الناس ببيعة ابنك غلام حدث يشرب الخمر ويلعب بالكلاب، لا أعلمك إلا وقد خسرت نفسك وبترت دينك وغششت رعيتك وأخزيت أمانتك وسمعت مقالة السفيه الجاهل وأخفت الورع التقي لأجلهم والسلام[(١)].

وقد اطلع يزيد على هذه الرسالة وحاول أن يستفزّ والده ويحرشه لاتخاذ موقف قاس من الإمام عليه السلام أو يرد عليه برسالة استنقاص فأجاب معاوية: وما عسيت أن أعيب حسيناً، والله ما أرى للعيب فيه موضعاً[(٢)].

ما صدر عن الإمام عليه السلام من خلال هذه الرسالة من أعلى مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو ما لم يكن ليقدم عليه غيره ولا له من الأثر لو كتب هذه الرسالة سواه، ويكفي بها سجلاً خالداً، على انحراف بني أمية وكفرهم وهمجيتهم.

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٤، ص٢١٢، عن الكشي؛ وروى ابن قتيبة عامة هذه الرسالة في كتابه، الإمامة والسياسة: ص٢٠٢.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٤٤، ص٢١٤.

ولا نغالي إذا قلنا: إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو المحرك المركزي لنهضة الإمام الحسين عليه السلام وهو المرجع لبقية الأسباب وعنده تلتقي.

لكن، من المهم الالتفات إلى أن مستوى المنكر الذي صدر من معاوية وولده يزيد وولاتهما وما رشح عن نظام حكمهما ليس منكراً كيف كان، بل لو قلنا إن منكرات معاوية في سبيل هدم الكيان الإسلامي كله وفته تفتيتاً، وكذلك رد الناس على أعقابهم إلى جاهلية ألعن من جاهلية أبيه أبي سفيان.

فلم نبعد عن الصواب ومطالعة سيرة معاوية بتأمل تهدي إلى هذه النتائج المروعة، بل لو قلنا: إنه لا يضاهي معاوية أحد من حكام المسلمين في الظلم والجبروت وهدم الإسلام فلهذا القول ما يسنده ويكفيك إنه وجه ولاته إلى التشجيع لوضع الأحاديث على لسان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم على نطاق واسع وإلى بذل العطايا على الوضع وله المشاركة في قتل الإمام أمير المؤمنين وولديه الحسن والحسين صلوات الله عليهم بشكل أو بآخر، بل إن مظالم معاوية قد دخلت كل دار فمن مهشم له دينه ومن مهشم له دنياه، وأين من يحصي جرائم معاوية ومخازيه.

هذا، وقد أصحر مسلم بن عقيل بهدف الثورة ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ أمام الطاغية ابن زياد بعدما قال ابن زياد:

اخبرني يا مسلم: لم أتيت هذا البلد وأمرهم ملتئم، فشتت أمرهم بينهم، وفرقت كلمتهم؟ ـ وهو نفس منطق مشركي قريش أيام الإسلام الأولى ـ.

فقال مسلم: ما لهذا أتيت، ولكنكم أظهرتم المنكر، ودفنتم المعروف، وتأمرتم على الناس بغير رضى منهم، وحملتموهم على غير ما أمركم به الله، وعملتم فيهم

بأعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر فيهم بالمعروف وننهى عن المنكر، وندعوهم إلى حكم الكتاب والسنة، وكنا أهل ذلك كما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[1].

بل من قبل هذا كان سيد الشهداء عليه السلام على ما روي قد سجل في وصيته المكتوبة لأخيه ـ ابن الحنفية ـ:

«وإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله وسلم، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب...»[2].

---

(١) الملهوف للسيد ابن طاوس: ص١٢٢.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٤٤، ص٣٢٩.



الإمام وأنصاره

موقف الإمام من أنصاره

من نافلة القول أن نؤكّد بأن معاهدة أهل الكوفة للإمام على معاضدته ومساندة حركته بعد استنصارهم له لأكثر من عشر سنين كان لها الأثر المهمّ في قيام الإمام بنهضته المباركة والسير فيها قدماً.

نعم، ما نحتاج إلى التأكيد عليه هو التكليف الشرعي بعنوانه الأوّلي للأمّة تجاه الإمام المعصوم عليه السلام.

فالله سبحانه ـ بحسب أصل التكوين ـ جعل في قدرة كل امرئ إمكانية السير في الطريق الذي يريده ويختاره فمن اختار طريق الصلاح وطريق الأنبياء والصلحاء وجد المنفذ إليه والقدرة عليه، ومن اختار طريق الشرّ والكفران وطريق التمرّد على الله ورسله تمكّن من السير في ذلك الطريق أيضاً.

فلم يُجبر المرء في أصل خلقته على نهج معيّن ولم يتحدّد أمامه طريق الحياة، بل المناهج أمامه واضحة، والأعلام لائحة، والعقل معه يحاكم الأشياء ويحكم لها أو عليها ثم هو عليه أنْ يختار، وعلى هذا يكون بلوغه الجنة أو النار بحسب اختياراته في

الدنيا فالدنيا دار اختبار، أما غيرها فيتحدّد فيها المسار بحسب ما يناسب مسيرته الدنيوية، فهو مضطرّ بعدها إلى المصير إلى ساحة الشقاء أو ساحة النعيم ولا يتمكّن من الفكاك من نتائج عمله الدنيوي أبداً وإن فعل ما فعل.

ما تقدّم كله بحسب أصل الجعل التكويني.

أما بحسب الجعل التشريعي في الإسلام العزيز:

فإن الله سبحانه جعل للمعصوم ـ النبي الأكرم أو أحد أوصيائه الاثني عشر ـ حق الطاعة على الأمة وجعله أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

أما النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلنصّ الآية المباركة:

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾[1].

وأما الوصي علي بن أبي طالب عليه السلام فلحديث الغدير المبارك إذ سأل النبي أمته:

«ألستم تعلمون أني أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟».

فقالوا: بلى.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«أللهم من كنت مولاه فعلي مولاه.. أللهم وال من والاه، وعاد من عاداه»[2].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦.

(٢) راجع حديث الغدير الشريف: الجزء الأول من كتاب الغدير للشيخ عبد الحسين الأميني، فقد ذكر أن من رواه من الصحابة فقط مائة وعشرة صحابي والنصّ منقول من نفحات الأزهار: ج٧، ص٦٣، عن مسند أحمد بن حنبل.

وأما بقية المعصومين فلجريان ما ورد في أمير المؤمنين عليه السلام في حقّهم أيضاً لوحدة الملاك ولوجود نصوص خاصة بشأنهم أيضاً.

منها، الآية المباركة:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾[1].

فإنهم أولو الأمر الذين يجب على الأمة إطاعتهم ـ بل على الناس كافة ـ وذلك بضميمة ما ورد في روايات العامة والخاصة من أنهم هم أولو الأمر المقصودون في الآية المباركة.

منها ما عن مولانا الإمام الباقر عليه السلام في أن أولي الأمر:

«الأئمة من ولد علي وفاطمة عليهما السلام إلى يوم القيامة»[2].

ولسنا هنا في مقام استقصاء المطلب بل المقصود الإشارة فقط.

فلما كان للأئمة المعصومين عليهم الصلاة والسلام حق الطاعة على الأمة فإنه يجب على كل فرد في الأمة الوصول إليهم ومراجعتهم ومعرفة أوامرهم وتوجيهاتهم في كل صغيرة وكبيرة ومن لم يطعهم فقد استحق النار والعذاب العظيم، وهذا معناه أن لا خيار للمرء في مخالفتهم إلاّ إذا صدر التخيير من نفس الإمام عليه السلام.

هذا الشقّ الأول من الكلام.

والشق الثاني: إنه يجب على كل إنسان اتباع أوامر الله ونواهيه ــ المعصوم وغيره ـ وَمِن أمْرِهِ سبحانه أن يقوم المسلم بأمر الظالمين والعصاة بالمعروف ونهيهم عن المنكر ومجاهدة الكافرين والظالمين والطواغيت وإزاحتهم من سدّة الحكم وإقامة دولة

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٢٣، ص٢٨٨، ح١٣.

الحق وإفساح المجال للخلفاء الحق لله تعالى وهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأوصياؤه عليهم السلام لارتقاء المقام المختصّ بهم، مقام الخلافة والإمامة والزعامة في الأمة ـ وكل ما تقدم مع تحقق شروطه ـ.

فيجب على الأمّة النهضة ومؤازرة الإمام المعصوم في جهوده لدفع الطواغيت عن مقام الأنبياء والأوصياء.

ومتى ما تمرّدَت الأمة وعصت، أو تقاعست وكسلت وأخلدت إلى الراحة فإنه يجب على الإمام النهضة بمن تحقق به الكفاية ويتم به الهدف.

ومع عدم توفر الإمكانيات المطلوبة والعدد الكافي يسقط الوجوب عن الإمام ويأثم من الأمّة من لم يطعه ولم ينهض معه ومن لم يجعل نفسه تحت إمرته.

وهذا هو الذي حصل مع الأئمة علي والحسن والحسين إلى المهدي وكذا مع الزهراء عليهم السلام حين استنهضت المهاجرين والأنصار لرد الظلامة عنها واسترجاع الحقوق المسلوبة.

نعم حين يتوفر الأنصار يلزم الإمام النهضة، وهو الذي حصل للإمام أمير المؤمنين بعد مقتل عثمان وللإمام الحسن بعد رحيل والده مباشرة وللإمام الحسين عليه السلام بعد استنصار أهل الكوفة به.

وقد نهض الإمام الحسين بعد الاستنصار وبعد انتهاء أمد الصلح بهلاك فرعون الأمة الإسلامية وطاغيتها: معاوية.

وحين نهض الإمام الحسين خليفة الله ورسوله في الأرض فقد وجب على الناس كافة ـ الأمة الإسلامية بكل فرد من أفرادها ـ النهضة معه ومساندته ومعاضدته وحمايته والسعي لتحقيق أهدافه سواءٌ في ذلك أهل الكوفة أم غيرهم، شيعة أم

مخالفون، لأن التكليف إسلامي بحت وليس بأمر خاص بالشيعة أو بالبيت النبوي.

وقد وجه الإمام عليه السلام أمراً عاماً للأمة بلزوم نصرتها له وقد بقي إلى الساعات الأخيرة يوجه النداء تلو النداء.

أما من ناصر ينصرنا.

أما من مغيث يغيثنا لوجه الله.

أما من ذاب يذب عن حرم رسول الله.فوجوب النصرة تام وثابت في رقبة كل فردٍ من الأمة، وإلى اللحظة الأخيرة من حياة الإمام الحسين المظلوم عليه السلام.

لكن لما خذل معظم الأمة إمامهم.

وجُبن أهل الكوفة عن الالتزام بمواثيقهم وعهودهم المستمرة منذ سنين، فإن الإمام عليه السلام فصّل توجيهاته بحسب طواعية الأفراد للأمر الإلهي.

والتفصيل: أن التكليف بالالتحاق به ونصرته والاستماتة في سبيله لم يسقط عن أي فرد.

نعم الذين أظهروا طواعية واستجابة ومماشاة لأمر الإمام ونهيه فإن الإمام أسقط عنهم التكليف الإلزامي بل حثّهم على الرجوع حباً لهم وتقديراً لموقفهم إلاّ أنهم تمسكوا بخيار البقاء ومفاداة الإمام المظلوم فأجاز الإمام لهم هذا وأثنى عليهم لموقفهم النبيل وأبان لهم عن عظيم مقام الكرامة المعد لهم في الآخرة جزاءً لصمودهم معه، وذلك أن الساقط عنهم هو الإلزام دون أصل الأمر؛ إذ مفاداة الإمام والتضحية في سبيله بالنفس والنفيس فيه المحبوبية العظيمة للمولى تبارك وتقدس.

فالأمر بالالتحاق به عليه السلام لكل أفراد الأمة مستمر إلى آخر لحظة من حياته الشريفة وإسقاطه الأمر الإلزامي عمن التحق به مستمر إلى النهاية.

وهو عليه السلام خيّر من يسير في ركابه ـ عموماً ـ بين الاستمرار معه أو الرجوع، وذلك بعد ما بلغه خبر استشهاد مسلم وانقلاب الأمور في الكوفة لصالح الفئة الحاكمة الكافرة ـ الأموية ـ ولم يحصل تخيير أو إسقاط للتكليف الإلزامي عن الأمة جمعاء أبداً بل التكليف ثابت في أعناق الكل ـ دون من شملهم التخيير وإسقاط الإلزام عنهم ـ.

وعبيد الله بن الحر الجعفي والذي التقاه الإمام في منطقة قصر بني مقاتل في طريقه إلى الكوفة، لو رضي ما عرضه عليه الإمام من الالتحاق به لينال رضا الله ورسوله لحصل على رضا الله سبحانه ولحصل أيضاً على تخيير الإمام بالرجوع أو الاستمرار فيختار الرجوع إن أراده ورغب فيه، غير أنه غلبت عليه شقوته فأبى مطاوعة الإمام من البداية فخسر الكرامة وخسر التخيير من الإمام وبقي الإثم في عنقه، بل لحقه العار والخزي لإبائه الالتحاق بالإمام مع طلب الإمام منه النصرة بمباشرةٍ منه عليه السلام.

أخلاقيات كربلاء

من أراد التمييز بين الفئة المحقة والفئة المبطلة فليحضر إلى كربلاء.

من أراد معرفة طريق الله وطريق الشيطان فضالته في كربلاء.

من أراد معرفة الإسلام والإيمان بأكثر صوره إشراقاً ومعرفة الكفر والرذيلة بأكثر صوره قتامة.

فالموعد في كربلاء.

هناك طفح كل إناء بما فيه.

وعبّرت كل فئة عن منهجها.

وكل فردٍ عن ذاتياته.

ووضحت عندها غاية كل طريق.

الصورة المشرقة:

أما مواقف الإمام الحسين عليه السلام فلا يسعنا ـ هنا ـ الحديث عن مكارم أخلاقه وسمو مقاصده.

فهو ابن من خاطبه الله سبحانه :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[١].

وهو الذي قال النبي في حقه :

«حسين مني وأنا من حسين»[٢].

ويكفيك ـ لتستشف من عظمته ـ أن أعداءه ومبغضيه من الأمويين وغيرهم لم يجرؤوا ولم يتمكنوا من الخدش بساحة قدسه مع شدة عداوتهم له حتى سفكوا دمه وقطعوا رأسه وداروا به في البلدان وحرثوا فيما بعد قبره وقتلوا كل من يزور مرقده بل بطشوا بكل من يهواه.

الحسين خليفة الله ورسوله في الأرض ، فهو منبع الفضائل بل هو القرآن في سلوكه وسيرته.

غير أنا لا نبخس أنفسنا حظوظها بحرمانها من ذكر بعض ما صدر عن الإمام في عرصات كربلاء.

ولعل من مواقفه التي تتجلى فيها تلك الروح المحمدية الطاهرة التي تثير فينا الألم والحسرة ، تخييره عليه السلام لأهل بيته وصحبه بل حثه لهم على استغلال ظلمة الليل وترك عرصات كربلاء والعودة إلى ديارهم ومأمنهم وتركه في مقابلة عشرات الآلاف من جنود الدولة الطاغوتية الكافرة.

إن أصل التكليف الشرعي الموجه للأمة ـ كل فرد في الأمة ـ بنصرة الإمام وفدائه بكل غال ونفيس : مستمر.

---

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

(٢) فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ج٣، ص٢٦٤ ، عن صحيح الترمذي وابن ماجة، وغيرهما.

كما أن كل من صحب الإمام ورافقه عن طواعية ورغبة وتسليم له فإن مخير بين البقاء والرجوع.

إن من يتعرض لخطر يجب على الآخرين إنجاؤه.

فإذا كان إنجاؤه يؤدي إلى هلاك المنجي فهنا يقع تزاحم بين وجوب إنقاذ المؤمن وبين وجوب حفظ نفسه، ولا يمكن التحفظ على التكليفين في نفس الوقت كما هو الفرض فيصبح الإنسان هنا مخّيراً بين إنجاء الآخر وإتلاف نفسه، أو المحافظة على نفسه وترك الآخر لما قدّر له.

أما إذا كان الآخر في معرض الهلاك والتلف والموت على كل حال فيحتمل هنا لزوم المحافظة على نفسه ليأسه من إمكانية إنجاء الطرف الآخر فلا تزاحم بين تكليفين في البين ويبقى لزوم حفظه لنفسه قائماً.

وقضية بقاء أصحاب الإمام عليه السلام معه وتعريضهم أنفسهم للموت في سبيل الإمام الأقدس عليه السلام مع كونه المقصود أساساً للدولة الظالمة ـ أما هم فمقصودون بالتبع للبثهم مع الإمام ولاستماتتهم في المحافظة عليه أن لا تصل إليه يد السلطة الكافرة ـ تثير تساؤلا.

فما الوجه الفقهي في لبثهم؟

إن الإمام عليه السلام صرح لهم ليلة العاشر من محرم الحرام بأنه المقصود ـ شخصياً ـ لهذا الجيش المتجمع في كربلاء ولو ظفروا به لانشغلوا عن غيره.

فعنه عليه السلام:

«... فهذا الليل قد أقبل فقوموا واتخذوه جملاً، ليأخذ كل رجل منكم بيد صاحبه أو رجل من إخوتي وتفرقوا في سواد هذا الليل وذروني وهؤلاء

القوم، فإنهم لا يطلبون غيري، ولو أصابوني وقدروا على قتلي لما طلبوكم»[١].

وفي نص ابن طاوس:

(أما بعد فإني لا أعلم أصحاباً خيراً منكم، ولا أهل بيت أفضل وأبر من أهل بيتي، فجزاكم الله عني جميعاً خيراً، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي وتفرقوا في سواد هذا الليل وذروني وهؤلاء القوم فإنهم لا يريدون غيري»[٢].

وهناك احتمالان في توجيه موقف الأنصار من الإمام عليه السلام:

أ / إن موقفهم ـ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ـ إنما هو بحسب التكليف الإسلامي العام وهو وجوب أو جواز تعريض النفس لخطر التهلكة رجاءً إنقاذ أي نفس مؤمنة ـ واختلاف التكليف لاختلاف خصوصيات الحالة، فكيف إذا كانت هذه النفس هي نفس إمام معصوم فعلى المرء أن يتقدم ويضحي بنفسه ذيادةً عن الإمام ودفعاً للموت عنه ولو أدى هذا إلى فناء الجميع؛ لأن نفس المعصوم فوق كل نفس بخلافته لله ورسوله في الأرض، والأسباب الأخرى فإذا فعلوا هذا وأدوا ما عليهم من تضحية فقد أبرؤوا ذمتهم من تكليف النتيجة النهائية يتخذ الإمام لها الموقف المناسب، فإما يقدم نفسه قرباناً لله سبحانه أو يصنع ما يجده صالحاً، ويتحمل الجيش الأموي إثم قتل الإمام، وبقية الأمة إثم خذلانه وبلوغه إلى النتيجة المأساوية دون أن يحركوا ساكناً.

ب/ إن موقفهم من الإمام لم يكن على طبق التكليف الإسلامي العام، بل كان

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام لابن أعثم الكوفي: ص١١٣.

(٢) الملهوف للسيد ابن طاووس: ص١٥١.

لخصوصية الحسين عليه السلام كإمام معصوم، وخليفة لله ورسوله في الأرض جهة حيثية في وقوفهم ذلك الموقف المفاداتي منه ولو كان الأمر طبق التكليف العام لكان من المحتمل المنع من اتخاذهم لذلك الموقف؛ لأنه عليه السلام مقتول على كل حال وصمودهم إلى جانبه معناه تعريض جميع تلك النفوس المؤمنة للقتل الحتمي مع أنّها غير مطلوبة للسلطة أولاً وبالذات وإنما بمقدار حمايتهم للإمام وحؤولهم السلطة عن التمكن منه ولدفاعهم المستميت عنه فما الداعي لهذه الاستماتة والنتيجة محسومة؟

إذن: كان للإمامة والإمام مدخلية في صحة تقديم أنفسهم قرابين فداءً لخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحق في الأمة.

أما موقف الإمام من أنصاره

١ ـ فإنه طبقاً للاحتمال الأول: أرجعهم؛ لأن تصميمهم على البقاء والمفاداة قبل أن يعلموا قطعية شهادته فكان تكليفهم البقاء، غير أنه عليه السلام لعلمه بانتهائه إلى الشهادة قدم لهم التخيير في اللبث والرجوع بل حثهم عليه، ـ وسيأتي وجه الحث ـ.

٢ ـ وأما إرجاعهم طبقاً للاحتمال الثاني فيُحتمل أن الإمام بحكم أنه ذو صلاحيات خاصة ـ لإمامته وعصمته وخلافته لله ورسوله في الأرض ـ قد أذن لكل من أطاع الله تعالى في نصرته وقدّم نفسه رخيصة فداءً لنفسه المقدسة بالانصراف وأسقط هذا التكليف عنهم تقديراً لموقفهم فلهم أن يرجعوا فيحيوا في أهلهم وذراريهم وذمتهم بريئة من خذلان الإمام ومعصية الله ورسوله، كما لهم البقاء والاستمرار ومشاركة الإمام في جهاده وكفاحه فيكون فداؤهم طوعياً دون أن يكونوا ملجئين إليه بسبب التكليف بالثبات والتضحية.

ومن المعلوم أن من يخير تخييراً كهذا ويختار البقاء والتضحية فموقفه هذا غاية النبل والسمو ونكران الذات في جنب الله ورسوله والإمام المعصوم، ومن يكن هذا شأنه فلا حدّ لرضا الله ورسوله والإمام عنه كما لا حدّ لجود الله سبحانه معه.

إن إسقاط الإمام عليه السلام لتكليف لزوم البقاء واللبث الثابت في ذمة أهل بيته وصحبه لغرض نصره والدفع عنه بما أنه إمام معصوم وخليفة الله ورسوله في الأرض، وسماحه لهم بالرجوع وارتضاؤه لمواجهة القوم الظالمين وحيداً منفرداً مع تصميمه اللانهائي على الامتناع عن مبايعة يزيد وتصميمهم على قتله لهو في حد نفسه دليل على إمامته وعصمته وخلافته لله ورسوله وعلى عدم النظير له.

وكذلك على أخلاق عظيمة سامية أسسها الإسلام وشيدها النبي وآله، وبهذا الخلق ونحوه قام الإسلام على سوقه ونبتت شجرة الإمامة وأرسلت فروعها في كل صوب وآتت ثمارها طيبة مباركة ولا تزال.

إن أول من أجاب الحسين ببيان ثباته وتصميمه على البقاء معه والاستماتة في سبيله مهما تكن النتائج هو أبو الفضل العباس وعلى إثر موقفه تتابعت مواقف الصمود والفداء فكان له مقام السبق إلى هذه الكرامة، وكان هو المعلّم والموجه لهؤلاء الأطياب الأكارم في اتخاذ الموقف الصحيح في هذا الموقف الذي يهز الجبال الرواسي.

وأما وجه حث الإمام لهم على الرجوع دون بيان تخييرهم فقط:

فيحتمل أنه تقديراً منه عليه السلام لموقفهم البطولي في الثبات معه، وشفقة عليهم من أن تنال سيوف الفراعنة منهم منالها فتمزقهم إرباً، وتقليلاً للخسائر ما أمكن، مع الإبقاء عليهم كي يبقى الرعيل الواعي والرسالي والمستعد للتضحية

والتغيير من واقع الأمة الفاسد، ويبقى بعد لهم التميز في المقام عند الله ورسوله والأئمة على بقية الأمة لموقفهم النادر مع الإمام السبط الشهيد.

غير أنهم أصروا على مرافقة الحسين عليه السلام في رحلته إلى عالم البقاء والخلود بل على التضحية بكل شيء فداءً له.

وما كان الحسين عليه السلام لينفس عليهم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقد صح منهم العزم وعرف منهم الثبات فأعلن الإمام عليه السلام السماح لهم بمشاطرته نهضته والقدوم معه على الله سبحانه بموقف ثائر في سبيل الله لتحقيق إرادته تعالى في الأرض لم تعرف له الدنيا نظيراً فكانت العظمة كل العظمة للحسين السبط عليه السلام وكانوا هم معه حيثما ذكر.

(السلام عليك يا أبا عبد الله... وعلى الأرواح التي حلت بفنائك، عليكم مني جميعاً سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار).



أبو الفضل عليه السلام

في كربلاء

منار الهداية

القصد من وراء الحديث عن أبي الفضل إشغال الفكر والقلب والقلم بالمذاكرة والتأمل في جوانب هذه الشخصية، الفريدة المثال في طول التأريخ الإنساني، وفي المذاكرة إحياء للقلب، وشحذٌ للذهن، وبناء للشخصية الإيمانية، والقرب من المولى سبحانه.

إن هذه الشخصية العظيمة مما لا جرأة لي ولمثلي في التطاول لبيان مكامن العظمة فيها، وللإشادة بعظيم آثارها، وللإصحار بفضائلها فقد تكفل بهذا:

ألف: أهل بيت العصمة والطهارة، إذ ورد عنهم ما يكشف عن السر المستودع في هذه الذات، وعن طهارتها وعظمتها، بل احتوائها لأكرم الصفات.

(أشهد لك بالتسليم والتصديق، والوفاء والنصيحة، لخلف النبي المرسل، والسبط المنتجب، والدليل العالم، والوصي المبلغ، والمظلوم المهتضم، فجزاك الله عن رسوله، وعن أمير المؤمنين، وعن فاطمة[1]، وعن الحسن

---

(١) نقل في ضياء الصالحين ص٢٢٥ عن كامل الزيارات وجود فقرة - وعن فاطمة - ولم نعثر عليها عند مراجعة نسخة كامل الزيارات المتوفرة لدينا.

والحسين صلوات الله عليهم، أفضل الجزاء بما صبرت واحتسبت وأعنت فنعم عقبى الدار، لعن الله من قتلك ولعن الله من جهل حقك، واستخف بحرمتك، ولعن الله من حال بينك وبين ماء الفرات، أشهد أنك قتلت مظلوماً، وأن الله منجز لكم ما وعدكم)[١].

ذات نشأت في بيت النبوة والإمامة، ومهبط الملائكة، ومعرض أقدس أعمال ولد آدم عليه السلام.

فملأ توجيه تلك الدار كل كيانها، فأضحت كما أريد لها وكما ينبغي لها أن تكون.

باء: سمو أعمالها نهض بها، فما تخفى على عدوٍ، أو حبيب.

إذن ما علينا إلا استطلاع ما ظهر لنا من أعمالها لاستيعاب مداليله في عظمة هذه الشخصية، وفي تقويم ذواتنا، وكذلك اقتباس ما ورد عن أهل العصمة عليهم السلام للنظر إلى جوهر تلك الذات، وما احتمل أن نبلغ في معرفتنا غير القليل، وقد ورد عن الإمام السبط الشهيد عند مصرع أبي الفضل عليه السلام:

«**الآن انكسر ظهري، وقلت حيلتي، وشمت بي عدوي**»[٢].

مع المعصوم

كل ما نحكيه في فصول هذا الكتاب من خصائص ومزايا أبي الفضل فإنما هو مع ملاحظة كونه معاصراً لأعظم المعصومين في تاريخ البشرية.

---

(١) كامل الزيارات للشيخ ابن قولويه: ص٤٤، والنص مروي عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام في زيارة لأبي الفضل عليه السلام.

(٢) العباس بن علي للشيخ القرشي: ص٢٢٤؛ بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٤٥، ص٤٢، دون ذكر الفقرة الأخيرة.

ولو افترضنا أن أبا الفضل ـ بنفس خصائصه وخصاله المتوفرة فيه ـ كان في حقبة لا معصوم فيها ، لكان الإنسان الأول في الفضل والكمال فلا يلحقه لاحق فضلاً عن أن يسبقه سابق ولكان سيد البشرية في أيامه وعظيمها.

غير أن وجود الإمام الحسين ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخليفته في أمته ـ والإمام عظيم دهره بلا استثناء ـ فكانت أنظار الأمة متوجهةً إلى الإمام دون غيره.

محدودية البحث في أبي الفضل عليه السلام

في كتاب لنا حول مسلم بن عقيل توسعنا في الحديث عن مسلم وعن جوانب عديدة تتعلق به وبمواقفه وحركته في ضمن القضية الحسينية.

إلاّ أن من قبيل هذا التوسع في البحث ، لم يحصل لأبي الفضل كما هو الحال في مسلم ، ولعل الوجه في هذا واضح ، ولا بأس في التأكيد :

ألف ـ إذ إن مسلماً كان القائد المباشر لمقطع من حركة الإمام الحسين عليه السلام فكان هو الموجه للأحداث وهو الذي يصدر عنه الأمر والنهي ، بينما كان المباشر لقيادة الحركة فيما بعد هو الإمام عليه السلام وكان أبو الفضل سنده وعضده ووزيره.

باء ـ إن حركة مسلم وقيادته وإدارته للأحداث قد ترتّبت عليها نتائج مهمة ومصيرية بالنسبة للحركة الحسينية ككل بحيث بدأت علائم نجاحها منها حين التف أهل الكوفة حول مسلم وبايعه حينها ثمانية عشر ألفاً خلال أيام ، كما بدأ انقلاب الناس وانفلات الأمور وسير الأحداث بالاتجاه المعاكس في أثناء حركة مسلم كذلك.

لكن الواضح من النصوص أن الأثر الحميد بمرقاة أعلى والمنزلة الأسمى كانت لأبي الفضل ولعل هذا يعود لعاملين:

أ) مواقف خاصة لأبي الفضل في حركة الطف، والتي بلغت به مقامه الخاص.

ب) خصائص ذاتية لأبي الفضل قبل الطف وبغض النظر عن حركته فيه.

وأمر آخر يجدر الالتفات إليه:

إن المقدار المتوفر من النصوص الحديثية والروائية المتعلقة بأبي الفضل عليه السلام قليل جداً، فلم يستوعب مساحة كبيرة من حياته المباركة، نعم نقلت عن سيرته في الطف مجموعة مهمة من الأخبار.

والسر في هذه القلة

١ ـ وجوده في عصر المعصومين عليهم الصلاة والسلام، وهذا يؤدي إلى توجه الأنظار نحو المعصوم والاهتمام بنقل ما يتعلق به بشكل أوفر.

٢ ـ شموله بما أصاب أهل البيت النبوي من ظلم مختلف طبقات الأمة نتيجة مواقف السلطات الحاكمة وضغوطها وإرهابها، ونتج عن هذا عدم اهتمام كثير من المؤرخين والمؤلفين ـ من العامة ـ بنقل تفاصيل حياته.

٣ ـ يظهر من خلال التأمل في ثنايا سيرة أبي الفضل وشخصيته أنه عليه السلام كان قد أذاب ذاتيته في جنب إمامه الحسين عليه السلام وغفل عن نفسه بالتمام، ولذلك لم يسمع له تفرد في موقف أو بروز عنوان مستقل له في المجتمع كما كان الأمر في أخيه ـ ابن الحنفية ـ كما لم ينقل عنه أي موقف في قبال موقف الإمام المعصوم، أو أقل مرتبة من الاعتراض عليه وكذلك كانت العلاقة بين

الحسن والحسين عليهما السلام ـ أي: مرتبة عالية من الطواعية التامة والتفاني في جنب الإمام المعصوم وولي الأمر عن الله ورسوله وبأمر الله ورسوله ـ بينما نجد هناك مواقف لأخوة الإمام الحسين عليه السلام ليست بمرتبة طواعية أبي الفضل، فينقل مثلاً عن ابن الحنفية أنه نصح أخاه بعدم السير إلى العراق وبعدم الإصغاء لهتوف أهل الكوفة وفي هذا الموقف غفلة ـ بحسب ظاهر الحال ـ عن إمامة الإمام الحسين عليه السلام وعن عصمته وعن علمه المفاض من الله ورسوله والذي يقتضي في الإمام عليه السلام حسن اتخاذ الموقف وصوابيته وسداده مهما ادلهمت الخطوب وتكاثفت الظلمات، فإن الإمام مصباح هدى للعالمين فضلاً عن نفسه المقدسة، وهذا هو معنى الإمام، بينما لا نجد أدنى مرتبة من مثل هذا الموقف ينطلق عن أبي الفضل، وما هذا إلا لنكرانه لذاتيته بالمرة مطاوعةً لإمامه، ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخليفته الحق في أمته.



أخوة الربانيين

في الذكر الحكيم: أن النبي موسى سأل الله سبحانه أن يعضده بأخيه كي يتم له أمره في هداية قومه فقال عليه السلام:

﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾[1].

وورد في الروايات المعتبرة أن نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بعد ما ذكر في مناجاته للمولى سبحانه ما تقدم من أمر موسى عليه السلام وسؤاله الوزارة لأخيه واستعضاده به سأل الله سبحانه أن يعضده بأخيه علي عليه الصلاة والسلام فأجابه[2].

وكان العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام وزير أخيه الحسين عليه السلام وعضده.

---

(١) سورة طه، الآيات: ٢٩ ـ ٣٦.

(٢) فضائل الخمسة من الصحاح الستة للسيد الفيروز آبادي: ج١، ص٣٣٦، عن مصادر عدة منها نور الأبصار للشبلنجي والتفسير الكبير للفخر الرازي.

من يستقرئ سيرة مولانا أبي الفضل طيلة حياته عموما، وفي سيرته مع أخيه الحسين عليه السلام ابتداءً من المدينة وانتهاءً بمصرعه المقدّس، لا يجد فيها مغمزاً أبداً ولا وهناً ولا تراجعاً ولا تردداً، بل كله إقدام وثبات ووضوح رؤية وتصميم، فإذن هذه المرحلة في دراسة واستطلاع أعمال هذا الفرد الأوحد قد تجاوزناها ومجال بحثنا إنما هو في مكامن العظمة فيه وأعلى المثل الإنسانية في سيرته، ومن هذه النقطة عروجنا.

إن الإسلام العزيز قد وصل في عهد يزيد إلى مفترق طرق ومنعطف خطر جداً عنده يتقرر مصيره، فإما موته الأبدي واندثاره كما آل إليه مصير الأديان السماوية قبله، وإما تجاوز هذا المنعطف إلى ما فيه بقاؤه في ساحة الوجود، وكان أبو الفضل العباس هنا... .

مع أخيه الحسين... .

وذلك المنعطف.

يستنقذ الإسلام ويعبر به إلى جادة السلامة، وبمعيتهما تلك الصفوة المؤمنة البرة.

بأبي من شروا لقاء حسينٍ ... بفراق النفوس والأرواحِ

أدركوا بالحسين أكبر عيدٍ ... فغدوا في منى الطفوف أضاحي[1]

والعباس بن علي أروع جوهرة في ذلك الميدان... .

ميدان التسابق إلى التبرع بالأرواح.

للفوز بصحبة الحسين عليه السلام سيد الجنان.

(١) إبصار العين للشيخ محمد السماوي: ص٥٨.

أبـو الفـضل ـ ويكفيك بهـا كنيـة تعبّر عـن صـاحبها تعـبيراً صـادقاً كاشفاً عـن جوهره ودخيلته وما يفيض عنه من سلوك حميد فهي ليست كبقيـة الأسمـاء والكنـى المرتجلة ـ من بعض بني هاشم ممن حملوا خصيصة تميّزوا بهـا عـن غيرهـم ـ بمـا فيهـم بقية الهاشميين ـ وخصيصتهم وميزتهم أن لا أحد يشير إليهم بمغمز في جانـب مـا ، في طول رحلتهم الحياتية.

فحين تستقرئ سجل حياة أبي الفضل من أولها إلى آخرهـا لا تجد فيـه غـير مـا يخضعك إجلالاً فما في حياته من شاردة أو واردة تخدش ذلك الكيان المقدّس.

وأحداث الطف مقطع من تلك الحياة الكريمة لا تجد فيهـا مـن أولهـا إلى آخرهـا لأبـي الفـضل موقفـاً فيـه وهـن أو تراجـع أو تـردد أو اسـتحياء في نـصرة الحـق أو في مواصلة المسير حتى وسم بالعصمة المكتسبة فهو في جوهره برزخ بين الإمـام المعـصوم وبين عظماء الأمة في خصائصهم وسلوكهم ؛ إذ ارتقى عن هذه إلاّ أنه لم يبلغ تلك.

كان العباس عليه السلام لأخيه الحسين عليه السلام كما كان أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

كان عماد حركته ونظام جيشه ، كلما اشتدت بالحسين عليه السلام الخطـوب ، واحتـاج لمـن يسدّ ثغـراً ، أو يـردّ كريهـة ، أو يفـلّ مستعـصياً ، وجّـه أبـا الفـضل لـنجح حاجته فلا يرجع إلاّ بنجحها ، أو لا يرجع ، كما هو الحال في حركته الأخيرة التي لم يعد منها إلى مضارب الحسين.

لقد هدّ مصرعه الحسين عليه السلام ، وهدّ كل من يتمسك بحبل الإسلام وعروته.

العباس ألم ممضّ في قلوب الأئمة المعصومين وجميع الهاشميين بل في قلب كل مؤمن ومؤمنة.

شُمِتَ بنا بعد أبي الفضل، فما ظنّ: برجل هذا موقعه في الساحة الإسلامية.

اللهم ارزقنا قبول أبي الفضل لنا واحشرنا تحت رايته فإنها منصورة عندك دنيا وأخرى ولا ريب.

والله: لو لم يقتل أولئك الأرجاس يوم الطف غير أبي الفضل لكفى بها بائقة وموجبة لكل عذاب وهوان.

فكيف وقد بلغت سيوفهم نحر الحسين خليفة الله في الأرض والقائم مقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد أخذت منه مأخذاً.

فما ترى الله سبحانه صانعاً بهم؟! وإلى أين ستؤول بهم فعلتهم وكل ما جرى إلى اليوم؟! إنما هي إرهاصات العذاب وليست به.

من أين نبدأ؟

نحن لسنا بصدد الحديث عن جوانب معينة تحدّث عنها آخرون ولا يهمنا البحث فيها ولا التأكيد عليها للاكتفاء بما سجّله الآخرون، بل هناك أمور أخرى نهتم بجريان قلمنا لتسجيلها لما فيها من أثر وفائدة.

فأبو الفضل قام بعمل عظيم سبق به غيره في مستبق المكارم ونال به الحظوة عند المولى سبحانه وعند أوليائه ـ النبي وأهل بيته الكرام ـ يكشف عن هذا ما نطق به أهل العصمة عليهم السلام بشأنه وما وصفوه به وأحرى بمن ينبت في بيت النبوة والإمامة أن يفوز هذا المفاز، ويرقى هذا المرتقى فحيث تقلّب سمع كلمة هدى وإرشاد إلى مفاز في الدارين، فلم ينقلب عن عين الحياة ظمآناً بل ارتوى منها فربح الخلود بمعيّة سيد شباب أهل الجنة، فكيف نصف من هو في الجنان تلو أئمة الهدى ومن بيدهم في الدارين الأمر حلاً وعقداً وتكفي الإشارة عن التفصيل.

من أين نبدأ مع أبي الفضل؟

نعم الأفضل أن نبدأ من آخر المطاف.

من كربلاء

لكن لم؟

١ ـ لأن ما ورد عن أبي الفضل في النصوص الروائيّة، والتاريخية، وفي كتب المقاتل في هذا الجانب أوفر وأوضح.

٢ ـ وسرّ مهم: إن اختيارات الإنسان الأخيرة في ساحة حياته، وفي محتدم صراعه تكشف عن نوعية مسيرته خلال حياته كلها.

فقد ذكر علماء علم النفس والتربية الإسلامية ـ علم الأخلاق ـ (والواقع أن علم الأخلاق في الإسلام هو مجمع لأبحاث فصّلت في عصرنا هذا إلى علوم: النفس، الاجتماع، التربية، الأخلاق، ولم يتم الاستفادة ـ بتمام الاستفادة ـ من علم الأخلاق في المؤسسات التعليمية كما ينبغي.

وهذا فيه بخس لأقدار تلك الذوات الكريمة التي سجّلت أبحاثه وبخس لحظ الأمة عن أن تستفيد من هذه الكنوز بل ابتلينا بتضمين هذه العلوم لما قدّمه كتبة الغرب وهم من هم في انحراف فكرهم ومعتقداتهم وسلوكهم واعتباطية مواقفهم وآرائهم).

أقول: قد ذكر علماء الأخلاق أن مسيرة الإنسان في حياته لها تأثير كبير في مواقفه في أخريات أيامه، فإذا اختار الاستقامة فهذا كاشف عن مسيرته الحياتية، وكاشف عن نواياه ونزعاته ومراميه في مسيرته، فليس ارتجالاً أن ينتهي زهير بن القين إلى هذه النهاية السعيدة وهو العثماني في هواه، ولا أن يختار الحر ترك موقعه القيادي في جيش الدولة لينضمّ إلى جيش ليس له مصير في الدنيا إلاّ الموت المحتمّ بعد ساعات.

كل من ودّع صخب الحياة إلى الكوثر مع الحسين عليه السلام اختار سعادته بعد أن أخذ المولى سبحانه بأيديهم إلى ساحة الاختيار وهذا فيه كل الدلالة على سموّ ذواتهم ورفعة شأنهم وتميّزهم عن غيرهم ؛ إذ حيل بينهم وبين أن يكونوا في الآخرة من أهل الحسرات على ما سيلحق عامة أفراد الجنس البشري من حرمان من منازل الكرامة ومراتب الشرف ومن النعم الهائلة التي لم ير مثلها ولم يسمع بل لم تخطر على قلب بشر، وذلك لما فرّطوا فيه من عمل فخسروا تلك المقامات الشامخة يوم القيامة يوم المغانم ونيل المراحم بالمكيال الأوفى.

أبو الفضل والأمان

ورد أنّه عرض على أبي الفضل في كربلاء الأمان، له ولأخوته من أمّه ـ عبد الله وجعفر وعثمان ـ وقد عرضه طرفان: عبد الله بن حزام، وشمر بن ذي الجوشن ـ لعنهما الله ـ.

أما عبد الله بن أبي المحل بن حزام فكانت والدة العباس وأخوته عمّته، فطلب من ابن زياد أماناً لهم وقام معه شمر في ذلك مسانداً، فكتب ابن زياد له أماناً، فأعطاه عبد الله لمولى له يقال له كزمان فأتى الأخير بالكتاب إلى أبي الفضل وأخوته.

قرأ أبو الفضل وأخوته الكتاب ثم قالوا لحامل الكتاب: أبلغ خالنا السلام، وقل له أن لا حاجة لنا في الأمان، أمان الله خير من أمان ابن سميّة فرجع[1].

وأما الشمر ـ لعنه الله ـ فإنه وقف يوم العاشر من محرّم ناحية فنادى: أين بنو أختنا؟ أين العباس وأخوته؟

فلم يجبه أحد.

---

(١) إبصار العين للشيخ محمد السماوي: ص٥٨.

فقال لهم الحسين عليه السلام:

«**أجيبوه، ولو كان فاسقاً**».

فقام إليه العباس فقال له: ما تريد.

قال: أنتم آمنون يا بني أختنا[١].

فقال له العباس: (لعنك الله ولعن أمانك، لئن كنت خالنا، أتؤمننا، وابن رسول الله لا أمان له).

وتكلّم أخوته بنحو كلامه، ثم رجعوا[٢].

وفي نص، أن شمراً ـ لعنه الله ـ قال لهم: يا بني أختي، أنتم آمنون، فلا تقتلوا أنفسكم مع أخيكم الحسين، والزموا طاعة أمير المؤمنين يزيد بن معاوية ـ لعنه الله ـ.

فناداه العباس بن علي عليهما السلام: تبّت يداك، ولعلن ما جئت به من أمانك، يا عدوّ الله، أتأمرنا أن نترك أخانا، وسيدنا، الحسين بن فاطمة، وندخل في طاعة اللعناء أولاد اللعناء.

فرجع الشمر إلى عسكره مغضباً[٣].

وأخوة أبي الفضل المقصودون هنا:

عبد الله، وعمره خمسة وعشرون عاماً.

---

(١) استعمال الشمر ـ لعنه الله ـ لألفاظ القرابة مع أبي الفضل وأخوته للعادة الجارية من التعامل مع من كانت أمه لها ارتباط نسبي بعشيرة ما فهم أذن أخواله ومن كان أبوه مرتبطاً بتلك العشيرة فهم عمومته وهكذا.

(٢) إبصار العين: ص٥٨ ـ ٥٩؛ وأنظر: بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٩١.

(٣) الملهوف للسيد ابن طاوس: ص١٥٠.

وعثمان، وعمره واحد وعشرون عاماً.

وجعفر، وعمره تسعة عشر عاماً.

وفي مصدر: إن عثماناً بعد جعفر ولادةً.

ومن الواضح: أن العباس وأخوته هؤلاء قد استشهدوا جميعاً يوم الطف طاعةً وفداءً لأخيهم وإمامهم وحفيد نبيّهم ـ الحسين ـ صلوات الله وسلامه عليه.

نعود إلى الأمان ـ أمان السلطة الفاجرة ـ.

إنّ ردّ الأمان في تلك الساعات المصيرية من عمر الإنسان، وهو محاصر بجيش يقارب الثلاثين ألفاً عدداً أو يزيد ومن خصائص هذا الجيش، إنه غير منضبط وفق قوانين دينية، أو دوافع إنسانية، أو أعراف قبليّة، كتلك الكرائم المعروفة عن العرب المسلمين، إذ ما لم يفوا لعروبتهم ولا لإسلامهم، وقد حكت عن هذا الجيش سيرته قبل المعركة وكشفت عمّا سيصدر منه في أثناء المعركة وبعدها، فما يضمّ غير وحوش ضارية أجيعت ثم أطلقت على فرائسها، فما ظنّك بوحوش الغاب وهي تصول على حفيد رسول الله وأهل بيته وصحبه وفيهم النساء والأطفال.

أقول: إن ردّ الأمان يثير علامات استفهام، عن تلك النفوس الكبيرة التي رفضت الحياة ـ على غير طريق الله وأحكام دينه ـ رفضاً باتّاً لا رجعة فيه، وفضّلت تجرّع كأس الشهادة على يد تلك الوحوش الضارية وتحت حدّ سيوفها وحرابها.

ما الذي يدفع العباس وأخوته، إلى تفضيل هذا الخيار وحسم أمرهم عليه؟ وينبغي أن لا نغفل أن لأبي الفضل دور الريادة في ردّ هذا الأمان وقد حذا إخوته حذوه واهتدوا بنهجه.

لعلّ غيرهم يتردد في هذا الموقف، أو يتوقف عن هذا الاختيار بدعوى: عدم انتفاع الإمام الحسين عليه السلام من استشهاد هذه الثلّة معه، ولو أبقى المرء على نفسه، وأخذ بالأمان وانسحب من ساحة المعركة فإنه قد ينفع الإمام منافع، له ولقضيته أجدى من الموت معه، إذ ينقل قضية الإمام بواقعها، وتسلسل الأحداث، وأوامر الإمام وتوجيهاته للأمة لاستثمار قضيته وشهادته، ثم يعمل من بعد على نشر الدين والفضيلة، ويحفظ عائلة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في ظرف الشدّة، ونحو هذي من الأفكار التي تتسارع خطوراً على الذهن البشري في مثل هذه المنعطفات والمنزلقات.

على أن المرء قد يجد وجهةً في الأخذ بمثل هذه الأفكار ونحوها، وليس لديه وقت طويل للتأمل، ولاسيما إذا لم يلاحظ ويتأمل في نتيجة فعله وما ستترتب عليه من آثار.

وإذا تأمل في الآثار والنتائج، فإن هذه مشكلة أخرى، إذ كيف يقطع المرء بأن نتيجة هذا الاختيار هكذا، ونتيجة ذلك الخيار كذا، ولعلّ في ترك التعرّض للقتال العاقبة الفضلى على المدى الطويل، وسيسعى هو ومن يستطيع فيهم تأثيراً إلى تغيير مجرى الأحداث إلى حيث النصر وتحقيق النتائج المرجوّة.

الشيطان لا يترك المرء دون أن يثير فيه هذه النوازع.

على أن كثيراً من هذه الخواطر قد يتقبلها الإنسان على أنها أحكام العقل وأن إصراره على الاستشهاد مع الإمام نحو عاطفة، عليه أن يغلب جانب العقل عليها.

لكنّ الصحيح: إن ما اختاره أبو الفضل وأخوته هو حكم العقل السليم في تلك الساعة التي يقع فيها كثير من الناس في غائلة التشويش الشيطاني خصوصاً مع

ملاحظة علة إعطاء الزمرة الحاكمة للأمان.

فلا يمكن أبداً أن يصدروا أماناً للعباس وأخوته لمجرد شفاعة شخص ما في حقهم وهم سادة البيت الهاشمي وقد تحركوا من المدينة إلى مكة فكربلاء للإجهاز على النظام الحاكم، وحرضوا الكثير من الناس وما زالوا مستميتين لم يخنعوا ولم يطلبوا لأنفسهم أماناً ولم ترهبهم الجيوش ولا جبال الحديد التي تسلّح بها العدوّ.

لقد حصل مسلم مِنْ قَبْلُ على الأمان من أحد قادة الجيش الأموي فما التفت ابن زياد لذلك الأمان ولا رعى حرمة قائد جيشه ولا اتخذ هذا الأمان وسيلة لتهدئة الكوفة أو لابتزاز سيد الشهداء كي يرجع أو يتنازل عن مبادئه وثورته، بل سحق الأمان والعهد وقتل مسلماً وقطع خط الرجعة بقتله لمسلم.

فأيّ أمانٍ لهؤلاء الجُفاة؟! وما أمانهم إلاّ خديعةٌ يتوسلون بها إلى جريمة أكبر وكارثة أعظم.

ثم كيف يقبل امرؤ شريف الأمان من هؤلاء الأراذل وبنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحفيداته وعائلته وصبيته في حصار جيوش بني أمية.

والذي يساعد عليه الاعتبار أنّ أمانهم لم يكن إلاّ لتفتيت جيش الإمام قتله وإبقاء الإمام وحيداً ـ فداه نفسي وكل العالمين ـ وذلك أنه إذا ترك أخوة الإمام وأهل بيته وأنصاره وخلّص صحبه نصرته لدواعٍ شتى فسيبقى وحيداً وستوجّه إليه إهانة عظيمة بهذا وسيؤدي هذا إلى إحداث شرخ كبير في قضية إمام الأمة وسيحدث شكٌ كبيرٌ في حقيقة أهدافه وفي مصداقيته؛ إذ لو كان على الحق وأهدافه عظيمة لما تركه حتى أخوته وأهل بيته في هذا الظرف العصيب وحيداً في الصحراء يحيط به ما لا يعدّ من الجيوش.

ثم سيكون هذا عذراً لعموم من خذله ونكل عنه؛ إذ إن أخوته وأهل بيته ـ أهل بيت النبي ـ قد خذلوه فنحن أولى بالعذر بل نحن أصح لأننا بادرنا بالانسحاب قبل أن تصل الأمور إلى هذا المستوى الذي لا رجعة فيه.

لقد أجهض أبو الفضل وأخوته مؤامرة الأعداء الأراذل وفدوا إمامهم بكل ما يملكون وواسوه بأنفسهم ونصحوا له ووقفوا معه وقفة وقفها علي أمير المؤمنين يوم أحد مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين فر عنه أغلب أصحابه وسقط النبي صلى الله عليه وآله وسلم مغمىً عليه من أثر الهجوم الكافر ثمّ كلّما يرى النبي كتيبةً من المشركين تكرّ عليه، كان يوجّه علياً لصدّها فيصدّها ويبدّد شملها حتى عجب منه جبرئيل وقال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«**يا رسول الله إنها لهي المواساة**».

فقال:

«**وما يمنعه وهو مني وأنا منه**».

فقال جبرئيل:

«**وأنا منكما**».

ثم نادى:

«**لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلاّ علي**»[1].

آل أمية وأذنابهم كانوا يتمنون أن يتمكنوا من أبي الفضل وأخوته بهذه الألعوبة السخيفة.

---

(١) راجع الغدير للشيخ عبد الحسين الأميني: ج٢، ص١٠٢، وما بعدها إذ نقل إجماع أئمة الحديث على نقل هذه الواقعة وسرد أسماء بعض المصادر المتعرضة لها.

عجباً، أكانوا يظنّون أن أبا الفضل وأخوته كانوا مكرهين على الحضور ولم يتسنّ لهم سبيل إلى الرجوع فوفروا لهم فرصة بأمانهم هذا؟!

فكيف لو علموا أن سيد الشهداء قد عرض على صحبه وجنده وأهل بيته بما فيهم أبو الفضل الرجوع؟ وسهّل له إنجاء أنفسهم دون حاجة إلى أمان الفجرة.

لا هذا ولا ذاك.

أن أبا الفضل خرج عن التزام وتدين وتمسّك بالمعتقد الحق، وبالإمام المنصوب من الله ورسوله، خليفةً لله ولرسوله في الأرض، والبقية الباقية من سلسلة أولياء الله سبحانه.

خرج عن غيرة منه على الدين ومقدساته، وعن رغبة صميمية في إصلاح الفاسد، وتقويم المعوجّ، وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تبعاً لأخيه الإمام.

أبو الفضل من المؤمنين الذين اشتروا رضا الله سبحانه والجنة من المولى بأموالهم وأنفسهم.

لقد سجّل أبو الفضل باختياره هذا وبكل مواقفه في مسيرته مع أخيه الحسين عليه السلام صفحة من أروع صفحات الإسلام وأزهرها، وبقي علم هداية لكلّ من تبع راية محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتمسّك بدينه وكتابه وعترته.

أهل البيت وأتباعهم، على درب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

لقد حسموا أمرهم أجمعين، فهم في غير حاجةٍ إلى أمان أهل الانحراف والزيغ عن خط الإسلام الأصيل، لأنهم لا يريدون الحياة بهذه الصيغة.

أن نعيش كما عاش محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أو نموت مع الحسين ولا طريق ثالث في البين.

فدائية أبناء علي عليه السلام

صورتان تبادرتا إلى الذهن :

صورة أخوة يوسف عليه السلام وهم أخوة نبي وأبناء نبي وأحفاد نبي ووالد جدهم النبي إبراهيم أبو الأنبياء ورسالته منشعب الرسالات وأصلها.

عاشوا في هذه الأجواء وبين وصايا هؤلاء الآباء الذين انبعثت الهداية منهم إلى القريب والبعيد، وما عصمتهم حتى سقطوا في حبالة الشيطان لامتحان بسيط، وهو أن والدهم يحب أخاهم الصغير أكثر منهم مع أنهم كبار السن.

والحب للصغير من الأولاد شأن بشري عام غير مختص بأبيهم، وعلى هذا فطر الناس، لكنهم تزلزلوا من هذا الحب، ولأجله أوقعوا كارثة عظيمة في أسرتهم.

سلبوا أخاهم من دار نشأته وأمانه وهناءته، وألقوه في بئر عميقة لا يستطيع الخروج منها، فإما أن يموت جوعاً أو غرقاً أو تعباً، وهان عليهم أن يأخذه أغراب إلى مكان ناءٍ بعيد ويتناقلوه ببيع وشراء واستخدام واستعباد وحرموا منه أمه وأباه وبقية أخوته وأقاربه وجيرانه وأوقعوا الحسرة والأسف والألم والحزن العميق في قلوبهم وأجروا منهم دموعهم حتى عمي والدهم من البكاء ولم يعالجوا المشكلة

لعشرات من السنين حتى أذن الله سبحانه بالفرج.

وهناك أمثلة للأخوّة أقل بشاعة من هذه الحادثة.

وهناك أمثلة للأخوّة المتعارفة كما نجد أمثلة تفيض جمالاً وكمالاً، إلا أن أعظم المراتب ما فاض عن أبي الفضل وبقية أبناء علي عليه السلام تجاه أخيهم الحسين عليه السلام.

تقدموا يستشهدون أمامه واحداً بعد واحد، أمام جيش متوحش تعداده عشرات الآلاف.

مع أنهم مأذون لهم في الانصراف من إمام الوقت: الحسين عليه السلام.

ومسموح لهم من الجهاز الحاكم والجيش الحاقد الشرس.

وما تركوا نصرة أخيهم وهم في عز الشباب ونضارة الورد.

وان الألى في الطف من آل هاشم   تأسّوا فَسَنّوا للكرام التأسيا

ولا عجب فهم أبناء علي، والذي ضرب أروع الأمثلة في نصرة أخيه سيد المرسلين، وفداه في كل المواقف التي تتطلب التضحية حتى عجب من فدائيته وهمته جبرئيل وقال إنها لهي المواساة فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«وما يمنعه وهو مني وأنا منه».

فقال جبرائيل:

«وأنا منكما».

ثم نادى من السماء:

«لا فتى إلاّ علي، لا سيف إلاّ ذو الفقار»[1].

---

(١) مصادرها في كتب العامة مذكورة في الغدير: ج٢، ص١٠٢.

وقد نام في مكانه ليلة الهجرة وبينه وبين الموت شعرة حتى مدحه المولى سبحانه:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[1].

وهذه الفدائية العلوية جعل الله سبحانه جزاءها حياة أبدية خالدة، فعلي حي في حياته، وحي بعد مماته على رغم أنف كل أعدائه، وحي إلى الأبد، وهو قسيم الجنة والنار، وكفى والله بهذا معلماً ودلالة على مقام وعظمة علي، وهو حامل لواء الحمد وكل البشر تحت هذا اللواء: آدم فمن دونه.

أولاد في الطف شابهوا أباهم وجروا على هديه.

وإن أمثلهم في هذا: أبو الفضل.

هو الأعظم فداء، وهو الأطوع، وهو المحفّز للفداء.

رغّب أخوته للموت حيث قال لهم: (تقدموا حتى أحتسبكم)

ولو لم يكن لأبي الفضل من مصيبة يوم الطف إلا هذه لكفت وهدّت طول العمر، فانظر إلى قوله: حتى احتسبكم.

أي يقدمهم قرابين في سبيل الله سبحانه، ولينال الأجر على مصيبته بفقدهم.

أترى أخاً يُقتل أخوته أمامه بيد أرذل الخلق بل يُقطّعون تقطيعاً بمرأى منه ومسمع، وهم في غضارة الشباب كيف تكون مصيبته؟

لو كان واحداً فمصيبته عظيمة بفقده وبهذه الصورة المفجعة.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

فكيف وهم اثنان.

بل ثلاثة.

بل تقدمهم، وتأخر عنهم، وينتظر مثلها: غيرهم، والمصائب كثر يوم الطف، كماً وكيفاً وجهة.

ونقلت مصادر أخرى عبراً غير ما تقدم عن أبي الفضل في دعوته لأخوته لتسجيل صفحة من أروع صفحات العقيدة والفداء والإيثار والأخوة ـ وهكذا شأن علي عليه السلام وأولاد علي ـ.

فهذا الطبرسي يذكر أنه قال لهم: يا بني أمي، تقدموا حتى أراكم قد نصحتم لله ولرسوله[1].

وفي الأخبار الطوال للدينوري: تقدموا، بنفسي أنتم فحاموا عن سيدكم حتى تموتوا دونه[2].

ثم قال الدينوري: فصاروا أمام الحسين عليه السلام يقونه بوجوههم ونحورهم.

وقال أيضاً بعدها: وبقي العباس بن علي قائماً أمام الحسين يقاتل دونه، ويميل معه حيث مال، حتى قتل، رحمة الله عليه[3].

وهؤلاء الأخوة، حسنة أخرى تضاف إلى حسنات علي أمير المؤمنين، وثمرة من ثمراته وحركة من علي عليه السلام تعدل أعمال الثقلين، فما بالك بمجموعها؟!

---

(١) إعلام الورى: ج١، ص٤٦٦.

(٢) الأخبار الطوال: ص٢٥٧.

(٣) المصدر نفسه.

هــذه مــن عُــلاه إحــدى المعــالي   وعلــى هــذه فِقِــس مــا ســواها

إن هناك حقيقة يجب على كل مسلم الاعتراف بها بعد التأمل في الروايات التي أمرت ببرّ ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقضاء حوائجهم أو التي بيّنت فضل هذه المساعي الشريفة(١).

إن البيت الهاشمي ــ بشكل عام إلاّ من شذّ ــ جنّد نفسه عبر مئات السنين لخدمة الإسلام وللفداء من أجله ولحياطته وللذود عن حرمه.

فهم على شرفهم وفضلهم قدموا التضحيات الجسام.

وعانوا ما عانوا، مما هو لطخة سوداء شديدة القتامة في جبين الأمة يوم القيامة.

نعم بعض الأمة تمترس لهم، وشاركهم في مصائبهم، وشبك يده إلى أيديهم، إلا أنهم الجزء الأقل من الأمة، غير أنهم الأبرّ والأتقى والأطهر.

وأخوة الحسين هم مثال على هذه التضحية الهاشمية والفدائية العديمة النظير التي حمل مشعلها بنو هاشم، ويحق لهم وتليق بهم.

إذن فجزاء بني هاشم ليس فقط لأنهم ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما أنهم ذرية، يلزم إكرامهم لمكانهم من أبيهم، بل إن هذه البنوّة أورثتهم مكارم جعلتهم في مقدمة الجمع المسلم في حميد الخصال وجميل الفعال، وجعلتهم أسوة ينظر إليهم الناظر فيرى فيهم آثار محمد وعلي وذريتهما الطيبين.

---

(١) منها: ما عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «إني سأشفع في يوم القيامة لأربع طوائف ولو كان لهم مثل ذنوب أهل الدنيا، الأول: من سل سيفه لذريتي ونصرهم، الثانية: من أعانهم في حال فقرهم وفاقتهم بما يقدر عليه من المال، الثالثة: من أحبه بقلبه ولسانه، الرابعة: من قضى حوائجهم إذا اضطروا إليها وسعى فيها»؛ جامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردي: كتاب العِشرة، باب ٩٩.

في ساحة المعركة

من يقرأ كتب التأريخ والسيرة ويراجع ما يتعلق منها بالحركة الحسينية يتوقف ـ ولا ريب ـ عند نقطة معينة تنقدح كثيراً في الأذهان وتستوقف القارئ والسامع.

القضية هي: البسالة العظيمة التي يتمتع بها الحسين عليه السلام وصحبه والشجاعة المنقطعة النظير، والأثر العظيم الذي تركوه في ساحة المعركة.

فحينما نقرأ عن آحاد أصحاب الحسين نرى هذا الأمر متحققاً عنهم مع أنهم: بين طفل صغير.

وشيخ كبير.

وشاب لم يمارس القتال في حياته ولا له صيت في هذا الميدان كي يرهب عدوه منه.

والقلة القليلة منهم هي التي مارست قتالاً وجلاداً في حياتها إلا أنه لا يتصور صدور ما صدر عنها في كربلاء.

الحالة الاعتيادية في مثل هذه أن يتقدم عدة مئات من الجيش الذي يناهز تعداده الثلاثين ألفاً أو يزيد ـ إذ إنهم لم يتركوا قادراً على حمل السلاح في الكوفة إلا وأخرجوه ولا دابة إلا وركبوها، إذ كانت الحالة حالة نفير عام ولم يكن الغرض مقاتلة الإمام وصحبه وإيقاف زحفهم فقط بل كان الهدف مركّباً من أغراض عدّة ـ فيحيطوا بالحسين وصحبه محاولين السيطرة عليهم عن طريق:

أ) رميهم بالسهام والرماح وبكل ما بلغته أيديهم لإيقاع الرهبة فيهم وإصابته إصابة بالغة كي تنهار عزائمهم ويصعب ممارستهم للقتال.

ب) مكاثرتهم فيهجم كل جمعٍ منهم على واحدٍ من أصحاب الإمام للإمساك وللسيطرة عليه فيقتلونه أو يأسرونه.

وقد فعل الجند الأموي مجموعة من الأمور لإحداث الوهن في الجيش الحسيني ولإرهابه وفتّ عزائمه.

فالجيش ذو الثلاثين ألف جندي أو يزيد هو أداة في سبيل تحقيق هذا الغرض وقد ملأ البطاح وسد الآفاق وقطع سبل النجاة والخلاص.

قطع المياه عن الجيش كله بما يصحبه من نساء وأطفال عامل آخر يضعف قابلية المرء الجسديّة عن القتال ويضعف طاقاته النفسية بسبب وضع النساء والأطفال والمرضى.

وعروض الأمان التي تترى من جانب ابن زياد بنفسه عامل آخر ـ مع أن الإمام كان يعرض على أهل بيته وأصحابه الرجوع ويحثهم عليه مع إبراء ذمتهم من بيعته ومن الأثر الأخروي ـ.

وإطالة المدة ما بين عسكرة الجمع في كربلاء وبين وقوع القتال سبب للضعف

النفسي وسبب لهيجان الأفكار والهواجس والتي تسهل للمرء فكرة الانسحاب لهذا الداعي أو ذاك.

والآلاف المؤلفة من السهام والتي وردت أول القتال على الحسين وصحبه معوق مهم من الناحية الجسدية والنفسية عن اقتحام ساحة المعركة وتحمل جهود كبيرة في القتال.

وآلات الحرب والدفاع التي يحملها المقاتل الحسيني.

والحر الشديد.

ومقاتلة بعضهم وهم مترجلون في وسط آلاف من الفرسان فتكون قدرة الحسيني على القتال والمناورة أضعف.

والرهبة النفسية التي تحصل من الكثرة العظيمة للجيش، وأنه جيش السلطة الحاكمة، وإن قدرتهم على رفد الجيش بجيوش أخرى لا تحد، ونحو هذه مما يُداخل النفس عند الابتلاء بأعوان الدولة وجنودها إذا كانوا أفراداً فكيف بهم وهم عشرات الآلاف، حتى أنه في حالات كثيرة ـ مع كون الجيش المعارض للدولة يعد بالآلاف ـ يفر الجيش المعارض للسلطة عند أول لقاء كمثل ما صنعه جيش مسلم في الكوفة ولم يكن قبالهم أحد، وكذلك جيش التوابين حيث انهزم الآلاف وبقي قرابة المائتين، وكذلك جيش زيد بن علي؛ إذ بقي زيد ومعه قلة حيث استشهد رضوان الله تعالى عليه وهكذا.

وأخيراً ـ وهو أمر مهم جداً ـ إن جيش كربلاء لم يكن بصدد نيل نصر عسكري، ولم يكن بإمكانه الوصول إلى نتيجةٍ ما عبر هذا القتال؛ إذ هي معركة محسومة قبل ابتدائها بالمنظار العسكري الدنيوي، فأين المائة أو المائتان من الثلاثين

ألفاً، وهذا الأمر بحد ذاته يوهن عزيمة المرء عن بذل الجهود العظيمة في القتال؛ إذ أية فائدة مرجوة، والقتل هو النتيجة القطعية على كل حال، خصوصاً مع ملاحظة أن سيد الشهداء قد أخبرهم ليلة المناجزة أنهم يقتلون جميعاً.

لكن الذي حصل لم يكن بالحسبان، إذ سطر الحسين وصحبه في ذلك اليوم ملاحم كربلاء الخالدة، فكانوا يخوضون ساحة المنازلة أفراداً وسط أمواج من جيش الكفر والضلالة والارتداد فيقتلون منهم مقتلةً عظيمةً أو يفر الجيش الضال أمام واحدهم وهم مئات.

وقد سبقهم مسلم بهذا إذ كان وحيداً وقاتل المئات من جند الضلالة فبدّد جمعهم وأكثر القتل فيهم حتى طلبوا المدد من ابن زياد ـ لعنه الله ـ.

وأبو الفضل من أعظم أهل البسالة في كربلاء وأشجعهم، وقد سطّر الملاحم، التي عُرفت به وعُرف بها فيما بعد.

ولنأخذ منها مثالاً:

وجّه الإمام الحسين عليه السلام أمره لأصحابه بالعمل على جلب الماء بعد حيلولة جيش السلطة المرتدة بينهم وبين الماء.

وذلك أن ابن زياد أمر ابن سعد بأن يحول بين الإمام عليه السلام وبين الماء فوجه ابن سعد بخمسمائة مقاتل مهمتهم الأساسية تطويق شريعة الماء ومنع الإمام وجيشه من الاستفادة منه.

بعد أمر الإمام عليه السلام، توجه خمسون من أصحابه إلى شريعة الماء ومعهم أبو الفضل، فحال جيش بني أمية بينهم وبين أن يأخذوا شيئاً من الماء فتقاتلوا حتى تمكّن أصحاب الإمام من ولوج شريعة الماء.

هنا: أخذ أصحاب الإمام بملء القرب، أما أبو الفضل فكان يُقاتل ويدفع جيش بني أمية عنهم.

تصور:

شخص واحد أو بصحبة آخر يدفع مئات ـ ولعلهم بعد الهجوم والتقاتل بلغوا آلافاً ـ من أشرس المقاتلين إلى أن حقق الجمع الحسيني هدفه وحملوا القِرب المليئة بالماء إلى مخيم الإمام فشرب منه قُرابة المائة نفر هم عطاشى منذ أيام، رغماً عن يزيد وابن زياد وابن سعد وجيشهم الضخم عدداً وعدة.

هذه واحدة، وإليك أخرى:

لما استشهد معظم أصحاب الإمام عليه السلام، طلب أبو الفضل من الإمام أن يسمح له بمنازلة القوم، فما كان من الإمام إلاّ أن وجّهه إلى العمل على تحصيل مقدارٍ من الماء للناس والصبية.

توجّه أبو الفضل منفرداً صوب شريعة الماء فواجهه الجيش الأموي المناط به من ابن سعد الحيلولة بين الإمام وصحبه وبين الماء.

دخل أبو الفضل في معركةٍ مع الأمويين حتى تمكن من الولوج إلى شريعة الماء.

تأمل وكرر التأمل.

شخص واحد في مواجهة جيش رهيب ـ عدداً وعدّة ـ غير أنه تمكن من تبديد شملهم وتمزيق لحمتهم وكسر أمر السلطة اليزيدية الظالمة وإذلال هذه السلطة المتجبرة فأمضى أمر الإمام وحقّق إرادته.

ولكن...

ملأ أبو الفضل القِربة ماءً وحملها صوب المخيم غير أن الجيش الكافر احتوشه ـ والهدف من قتالهم عدم تمكين أبي الفضل من إيصال الماء ـ فقاتلهم قتالاً رهيباً.

أرجوك أن تتابع التفصيل، وأن تتأمل فيه، وأن تحاول تخيّل الواقع الذي جرت أحداثه في تلك اللحظات من عمر الدهر.

كان أبو الفضل يحمل سيفه ليقاتل، كما يحمل القربة محافظة عليها وسط ذلك الجمع المئوي ـ وحاول أن تتصور أيضاً: كم هو حجم القربة التي يستطيع حملها في أثناء حاله ذاك وهو يُقاتل والجيوش تزاحمه وتكاثره وتريد إزهاق روحه المقدسة ـ.

تمكن أحد المجرمين من قطع يمين أبي الفضل فحافظ عليه السلام على القربة بيُسراه فقطعوها.

حمل أبو الفضل القربة بأسنانه فضربوا القربة ومزقوها وأراقوا ماءها كما ضربوه بعمود على رأسه ففلقوه.

سقط أبو الفضل ـ حيث هو الآن مدفون ـ وقد قُطعت يداه وفُلق رأسه ودخل سهم في إحدى عينيه، وجسمه مثخن بالجراح، بل قطّعوه تقطيعاً، ـ حتى لم يتمكن الإمام من حمله إلى قرب المخيم، وعُسر دفنه على دافنيه بسبب ما أصاب بدنه المقدس ـ.

أي عظيم هو أبو الفضل؟! وأي رجالٍ خالدين صنعوا الملاحم بتربية النبي صلى الله عليه وآل وسلم والوصي عليه السلام؟!

العباس ذو الجناحين

جعفر بن أبي طالب من أوائل المسلمين بل من عظماء الأمة الإسلامية ومن المجاهدين الذين أبلوا في الله سبحانه بلاءً حسناً.

في أيام المحنة الأولى بمكة والإسلام غريب، والنبي وحيد، والسياط تتلوى على ظهور المسلمين الأوائل، والمقاطعة الاقتصادية والاجتماعية تأخذ منهم مأخذها، فتتركهم أمواتاً بين الأحياء ـ وهم الأحياء بين الأموات ـ.

وفي أيام الهجرة إلى الحبشة حيث يقود جعفر جموع المهاجرين، فيحسن قيادتهم، ويشد أركانهم في الطريق، وعند ملك الحبشة، على طول تلك السنين.وبعد رجوعه إلى المدينة، مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبين المسلمين.

وعند قيادته لجيش مؤتة.

كان عظيما ومتميزاً وأعجوبة، في الأرض والسماء، حين استشهاده، إذ صمد للحرب حتى قطعت يداه.

فمنحه الله ورسوله مفخراً وامتيازاً لم ينله في ذلك الوقت سواه.

(إنّ الله أبدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة)[١].

و**(إنّ الله جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنة)**[٢].

إن كثيرين قُتلوا في سبيل الله سبحانه ولكن الله لم يميز بهذه الكرامة غير جعفر، ولم يمّيز رسول الله بهذا الوسام غير جعفر.

نعم، العباس أيضاً ذو الجناحين.

العباس بن علي بن أبي طالب أيضاً قطعت يداه في الدفاع عن حريم الدين وعن خليفة الله ورسوله: الحسين، وفي الدفاع عن بنات رسول الله ونساء بيته فأبدله الله سبحانه بيديه جناحين يطير بهما في الجنة كعمه جعفر.

فعن الإمام زين العابدين عليه السلام:

«رحم الله العباس، فلقد آثر وأبلى وفدى أخاه بنفسه حتى قُطعت يداه فأبدله الله عزّ وجل بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة كما جعل لجعفر بن أبي طالب وإن للعباس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة»[٣].

وأبو الفضل لم تقطع يداه فقط بل ضُرب بعمودٍ على رأسه وجاءه سهم في عينه المقدسة وتناهبته السيوف والنبال والرماح حتى سقط عن جواده وقد قطّع تقطيعاً ـ والوارد أنه كان يصعب تحريكه عند إرادة دفنه لما أصابه من تقطيع أوصاله ـ ثم خُتم أمره بقطع رأسه المقدس، ودفن بعيداً عن أخيه الحسين لعدم إمكان نقله.

---

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٢٢، ص٢٧٦.

(٢) المصدر نفسه: ج٢١، ص٥٧.

(٣) المصدر نفسه: ج٢٢، ص٢٧٤، ح٢١.

إنّ ما أصاب أهل البيت النبوي يدعو الأمة إلى مراجعة الكثير من متبنياتها.

إذ كيف يمكن لشعب جاء به رسول الله إلى الوجود، وأخرجه من حقارة الجاهلية وخساسة عيشها ومقاييسها، فجعله يحكم الأرض ويتنعم بخيراتها ويكون أعجوبة بين الأمم ثم يصنع هذا الشعب أفاعيل الوحوش في خصوص البيت النبوي من دون بيوت العرب كلها.

ما لقيت عائلة في تاريخ العرب، ما لقيه البيت النبوي من المقربين من النبي في الصحبة وفي الوطن.

فالحكام يُعملون سيوفهم في رقاب آل محمد وأنصارهم، وبقية الأمة تساعدهم بالبغض والإعلام والإسناد العسكري، حتى تشرد أهل البيت في الآفاق فتجد مرقد يحيى بن زيد في الجوزجان وهي أقصى شرق العالم الإسلامي يومذاك والأدارسة في المغرب وهي أقصى مغرب العالم الإسلامي يومذاك مع ملاحظة أن الأئمة المعصومين وهم سادة أهل البيت وخلفاء رسول الله وقادة العالم الحقيقيون لم يفارقوا المدينة ومكة وأرض العراق وهي وسط العالم الإسلامي رغم كل الفواجع والمخاطر الهائلة حتى قدموا أرواحهم واحداً بعد الآخر مقابل هذا الثبات والصمود.

أحامي عن ديني

ورد في المقاتل أن أبا الفضل ارتجز يوم عاشوراء في ساحة المعركة وقال:

والله إن قطعتمـــو يمـــيني	إنـي أحـامي أبـداً عـن ديـني
وعـن إمـام صـادق الـيقين	نجلِ الـنبي الطـاهر الأمـين[1]

لقد أعطى أبو الفضل صورةً واضحةً عن مسيرته في الطف وأنار بهذا الدرب للأمة إذ أرادت السعادة والنجاة.

لقد أبان أبو الفضل أنّ هدفه وغايته:

أ) المحاماة والمدافعة عن دينه.

فالمطلوب من كل إنسان أن يجعل كل شيء وقاية لدينه وفدىً في سبيله فأعز الأشياء في النظر الصحيح هو الدين، فإذا اقتضى حماية الدين التضحية بنفسه وبكل نفيس فعل دون تردد أو تهيب.

(١) العباس عليه السلام للشيخ القرشي: ص٢٢٣.

ب) إنه يحامي عن :

١ـ إمام ذي يقين وهو يشهد بصدق هذا الإمام وصدق يقينه.

٢ ـ وعن نجل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بما أنه نجل للنبي وبضعة منه.

وفي الواقع أن مرجع الدفاع عن الإمام إلى دفاع أبي الفضل عن دينه وإنما بيّن هذا بخصوصه وفصّله للاهتمام به وللتأكيد عليه.

إن أبا الفضل يصرّح :

إن من يحامي فليحام عن دينه ، وليضحّ في سبيله ، فإن الدين سبب السعادة كلها وسبب النجاة ، والطريق الوحيد لنيل مختلف الكرامات ، وكل ما ينال بغض النظر عن ملاحظة الدين فإنه سيكون حسرة ووبالاً على صاحبه ونائله.

كل خطوة خطاها أبو الفضل وكل كلمة قالها هي دليل على عظمته وهي معلم هداية للأمة على مر الأجيال والسنين.

ما أحوجنا في يومنا هذا إلى الالتفات إلى درب أبي الفضل ، وإلى إرشاده ـ الفداء بالنفيس من أجل المحاماة عن الدين ـ.

إنّ جُلّ حركتنا اليومية ومسيرتنا الحياتيّة هي لبناء دنيانا ، وتشييدها وإن جنى هذا البناء على أخرانا ، وعلى كل حال فالمسألة محسوبة بمقدار الفائدة دنيوياً وأخروياً.

أما ملاحظة الدفاع عن الدين والمحاماة عنه والذب عن حياضه فإن هذه مرتبة متأخرة في مجال تفكيرنا وفي حركتنا الحياتية.

يُنسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

أبـــنيّ إنّ مـــن الرجـــال بهيمـــةً   في صـــورة الرجـــل الـــسميع المبـــصر

فطـــنٌ لكـــلّ رزيـــةٍ في مالـــه   وإذا أصـــيب بدينـــه لم يـــشعر[١]

حماية نجل النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

مما توفر في هذا الشعر المبارك من أهداف استماتة أبي الفضل في ساحة المعركة حتى سمح بروحه العزيزة هو هدف حماية نجل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وهو الحسين عليه السلام.

وهذا المطلب مما يحسن نقل الكلام إليه والتوسّع فيه بعض الشيء.

إن تصدي أي مسلم للدفاع عن الحسين عليه السلام، لإمامته، أو لعصمته، أو لخلافته لله ولرسوله ولنحو هذه العناوين والمناصب أمرٌ مفهوم جداً، وللقائم بهذا العمل الجليل منزلة قُرْبٍ من الله سبحانه؛ لأنه في الواقع يدافع عما يتعلق بالله ورسوله مباشرةً، لأنّ الحسين عليه السلام هنا ـ بحسب هذه العناوين ـ يمثل الله ورسوله فالعدوان عليه عدوان على الله ورسوله مباشرة، ولعله من هنا ورد إن محاربة الحسين عليه السلام ـ وبقية البيت النبويّ الطاهر ـ إنما هي محاربة لله ورسوله، فهذا الترمذي ينقل في صحيحه قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي وفاطمة والحسن والحسين ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ:

«أنا حرب لمن حاربتم، وَسِلْمٌ لِمَنْ سالمتم»[٢].

---

(١) راجع الديوان الذي يتضمن الشعر المنسوب إلى علي أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) راجع: صحيح الترمذي: ج٢، ص٣١٩؛ صحيح ابن ماجه: ص١٤؛ مستدرك الصحيحين للحاكم: ج٣، ١٤٩؛ أسد الغابة لابن الأثير: ج٥، ص٥٢٣؛ كنز العمال للهندي: ج٦، ص٢١٦؛ وغيرها مما تجد ذكره في فضائل الخمسة من الصحاح الستة للفيروز آبادي: ج١، ص٢٥١.

أما الدفاع عن الحسين عليه السلام بما أنه ولد رسول الله ونجله وسبطه.

فهل لهذا الدافع بهذا الحد والإطار من الفضل والأثر عند الله سبحانه ما يقتضي من المرء بذل النفس والنفيس في سبيله، والسعي لنيل رفيع الدرجات من خلاله.

الجواب وببساطة: نعم، إنه لكذلك.

لا ريب أن كلّ مسلم يُسَلِّمُ ويلتزم بأنّ أي عدوان على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأي انتهاك لحرمته إنما هو انتهاك لحرمة الله تعالى وتقدس وهذا يعدل الكفر ويورث الخلود في النار الكبرى.

ذلك أن شخصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكاملة في الأمة إنما هي خلافة الله تعالى في الأرض وكونه نبيه ورسوله فأي تعاملٍ معه إنما يكون ضمن هذا الحيز وفي هذا الإطار فلا يمكن التعامل معه صلى الله عليه وآله وسلم في دائرة عنوان مستقل لا يحمل هذا الأثر ولا يدخل في هذا المجال، فلا يمكن معاملته كباقي أفراد الأمة أبداً.

وهذا المعنى ينطبق على الحسين عليه السلام ضمن نطاق شيعته فإن الحسين عليه السلام ـ بالأدلة القاطعة الواردة في كتب السنة والشيعة ـ خليفة لله ولرسوله في الأرض وإمام معصوم، فلا يمكن النظر إليه أو التعامل معه إلا من هذا المنطلق.

وأما غير شيعته فهو عندهم سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نظرتهم إليه منحصرة ضمن هذا النطاق بالرغم من الأحاديث الكثيرة والمتنوعة الواردة في حقه، إضافة إلى الآيات المباركة المنادية بعظيم مقامه، فآية التطهير وآية المباهلة

وسورة الدهر وآية المودة وغيرها كثير ثم حديث الثقلين وحديث السفينة وغيرهما من أحاديث جمة تحكي كلها عن عظمته بأصرح بيان وأتقنه ويكفيك منها ما صرّح بأنه سيّد شباب أهل الجنة وإنه إمام الأمة إن قام وإن قعد.

وأين ما تقدم كله مما يروونه ـ لكثرته وتنوّعه ـ ومع ذلك لا تتعامل معه طائفة السنة غير أنه سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكفى.

ومع ذلك فقد غفلوا عن أن كون الحسين سبطا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقط دون ثبوت بقية العناوين المباركة له لا يسوّغ للأمة التعامل معه بما تعاملت به ولا ينهضها من كبوتها معه اعتذارها بهذا.

إذ إن كون الحسين سبطاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علة تامة وسبب كافٍ للزوم تعظيمه وتوقيره وحفظ حرمته وتقديمه على غيره في الأمة، وهذا له بما أنه سبط النبي صلى الله عليه وآله وسلم بل ولده ـ بنص الكتاب والسنة ـ أو بما أنه أحد الذرية المباركة، تحكي عن هذا بأوضح بيان ما أوردت كتب السنة في حق هذين العنوانين فلنسرد ما يصلح شاهداً لهما.

النصوص في عموم الذرية المباركة:

وردت نصوص عدة تأمر برعاية ذرية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وإكرامهم ووجهت الأمة نحو الاهتمام بهم وحاطتهم بأقصى ما يمكن.

وقد انقسمت الأمة قسمين تجاه هذه النصوص والوصايا والتي ترجع في مجملها إلى كونها في الواقع وصايا قرآنية فُصّلَتْ وبُيّنَتْ بشكل أوضح على لسان النبي الأطهر الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

فالبعض من الأمة ـ وهم الشيعة الإمامية الاثنا عشرية على نحو الخصوص

والحصر ـ اصطف مع ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم قلباً وقالباً فاختلط بهم وشاركهم أمرهم ودافع عنهم وضحّى في سبيلهم وواساهم في كل ما أصابهم حتى لعل الكثير من الشيعة اليوم يرتبط بالذرية النبوية بسبب أو نسب.

والقسم الثاني من الأمة انقسم أيضاً إلى قسمين:

فبين من ناصب العداء لذرية النبي الأكرم وسعى في إبادتهم أو إيذائهم بكل ما بلغته يداه.

وبين من أهملهم وأعرض عنهم بالكلية كأن لم يترك النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعده من ذرية، ولم يوصِ بهذا العنوان أبداً.

وقد مرّت على ذرية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم حقبة طاولت المئات من السنين مثّلت الهدف الأول للسلطات الحاكمة في بلاد المسلمين ـ بني أمية وبني العباس بالخصوص ـ فناوأتهم العداء وشردتهم في أقاصي الأرض وفعلت بهم الأفاعيل بما لم يحصل لأسرة في تاريخ الإسلام أبداً مع أنهم جزء من الكوثر الذي بشر الله به نبيه صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم وصايا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بحقهم مذكورة وفي الكتب مسطورة منها ما رواه المتقي الهندي عنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذريتي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم في أمورهم عندما اضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه»[1].

---

(١) كنز العمال للمتقي الهندي: ج١٢، ص١٠٠، تحت رقم ٣٤١٨٠؛ ورواه القندوزي باختلاف يسير جداً في كتابه ينابيع المودة: ج٢، ص١١٥، ص١٢٠، ص٣٨٠، ص٤٦٤.

ومنها:

«خيركم، خيركم لأهلي من بعدي»[١].

ومنها:

«من صنع صنيعة إلى أحد من خلف عبد المطلب فلم يكافه بها في الدنيا فعليّ مكافأته إذا لقيني»[٢].

ومنها:

«يا علي: إن أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وذرارينا خلف ظهورنا، وأزواجنا خلف ذرارينا، وشيعتنا عن أيماننا وعن شمائلنا»[٣].

فلاحظ موقع الذراري وتأمل، وفي الرواية ما ينفع في بيان أهميتهم وأن على الأمة حياطهم.

هذا بعض ما ورد بحق الذرية.

وهاك بعض ما ورد بحق أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعترته:

١ - **«النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس»**[٤].

٢ - **«من آذاني في أهلي فقد آذى الله»**[٥].

---

(١) كنز العمال: ج١٢، تحت رقم ٣٤١٤٦.

(٢) المصدر نفسه: ج١٢، تحت رقم ٤٣١٥٣.

(٣) المصدر نفسه: ج١٢، ص١٠٤، تحت رقم ٣٤٢٠٥.

(٤) المصدر نفسه: ج١٢، ص١٠٢.

(٥) المصدر نفسه: ج١٢، ص١٠٣.

٣ ـ «من سره أن يحيا حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنّة عدن التي غرسها ربّي، فليوال عليّاً من بعدي وليوال وليّه، وليقتد بأهل بيتي من بعدي، فإنّهم عترتي، خلقوا من طينتي، ورزقوا فهمي وعلمي، فويل للمكذّبين بفضلهم من أمتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي»[١].

٤ ـ «نحن أهل بيت لا يقاس بنا أحد»[٢].

٥ ـ «لا يبغضنا أهل البيت أحد إلاّ أدخله الله النار»[٣].

٦ ـ «أساس الإسلام: حبّي وحبّ أهل بيتي»[٤].

٧ ـ «اللهم أهل بيتي وأنا مستودعهم كل مؤمن»[٥].

٨ ـ «شفاعتي لأمتي: من أحبّ أهل بيتي، وهم شيعتي»[٦].

٩ ـ «مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح، فمن قوم نوح من ركب فيها نجا ومن تخلّف عنها هلك، ومثل باب حطّة في بني إسرائيل»[٧].

١٠ ـ «أثبتكم على الصراط: أشدّكم حبّاً لأهل بيتي»[٨].

١١ ـ «أحبّوا الله لما يغدوكم به من نعمه، وأحبّوني بحبّ الله، وأحبّوا أهل بيتي لحبّي»[٩].

---

(١) كنزل العمال: ج١٢، ص١٠٣.

(٢) المصدر نفسه: ج١٢، ص١٠٤.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه: ج١٢، ص١٠٥.

(٥) المصدر نفسه: ج١٢، ص١٠١.

(٦) المصدر نفسه: ج١٢، ص١٠٠.

(٧) المصدر نفسه: ج١٢، ص٩٨.

(٨) المصدر نفسه: ج١٢، ص٩٦.

(٩) المصدر نفسه: ج١٢، ص٩٥.

١٢ ـ «اشتدّ غضب الله على من آذاني في عترتي»[١].

ثم هاك مجموعة أخرى مما ذكره فيها الحسين عليه السلام بشخصه :

١ ـ «أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين في قبّة تحت العرش»[٢].

٢ ـ «عرض لي ملك استاذن أن يسلّم عليّ ويبشّرني ببشرى، إن فاطمة سيدة نساء أهل الجنّة، وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[٣].

٣ ـ «من أحبّ هؤلاء فقد أحبني، ومن أبغضهم فقد أبغضني ـ يعني الحسن والحسين وفاطمة وعلياً»[٤].

٤ . «في الجنة درجة تدعى الوسيلة فإذا سألتم الله فسلموا لي الوسيلة».

قالوا : يا رسول الله ، من يسكن معك فيها؟ قال :

«علي وفاطمة والحسن والحسين»[٥].

٦ـ «نحن ولد عبد المطلب سادة أهل الجنّة: أنا وحمزة وعلي وجعفر والحسن والحسين والمهدي»[٦].

٧ ـ («أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم».

قاله لعلي وفاطمة والحسن والحسين)[٧].

٨ ـ «أنا وفاطمة والحسن والحسين مجتمعون ومن أحبّنا يوم القيامة

---

(١) كنز العمال: ج١٢، ص٩٣.

(٢) المصدر نفسه: ج١٢، ص١٠٠.

(٣) المصدر نفسه: ج١٢، ص١٠٢.

(٤) المصدر نفسه: ج١٢، ص١٠٣.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه: ج١٢، ص٩٧.

(٧) المصدر نفسه.

نأكل ونشرب حتى يفرق بين العباد»[١].

٩ ـ («إن أول من يدخل الجنّة أنا وأنت وفاطمة والحسن والحسين».

قال علي عليه السلام:

«فمحبّونا».

قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«من ورائكم»)[٢].

وإليك أيضاً:

«الحسن والحسين: من أحبّهما أحببته، ومن أحببته أحبّه الله، ومن أحبّه الله أدخله جنّات النعيم.

ومن أبغضهما أو بغى عليهما أبغضته، ومن أبغضته أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله نار جهنّم وله عذاب مقيم»[٣].

وأخيراً:

«كل بني أنثى فإنّ عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة، فإنّي أنا عصبتهم وأنا أبوهم»[٤].

وأنت بتأمل قليل في ثنايا هذه الروايات تقطع بأن للحسين عليه السلام مقاماً عظيماً في عالمي التكوين والتشريع.

وفي الدنيا والآخرة وإنك إن اعتقدت إمامته وخلافته لله ورسوله في الأرض،

---

(١) كنز العمال: ج١٢، ص٩٨.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه: ج١٢، ص١١٩.

(٤) المصدر نفسه: ج١٢، ص١١٦.

أو اعتقدت بأنه من عترة الرسول ومن أهل بيته الذين ورد بحقّهم ما ورد ، أو اكتفيت بالالتزام بأنه من ذرية رسول الله وأنه ابنه كما هو مفاد آية المباهلة وعدة من الروايات فأنت على كل حال مرتهن بتكليف كبير يتعلّق بالحسين السبط المظلوم عليه السلام ، وهو الذي نسترشده من أقوال أبي الفضل وسيرته فالحسين إن اعتقدت إمامته أو اكتفيت بالاعتقاد ببنوّتِهِ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فالمطلوب منك أن تقف معه يوم الطف قبال محاربيه ومبغضيه وظالميه كما صنع أبو الفضل وأخوته والصحب الكرام ولا خيار للمسلم غير ما صنعوه.

والعجب ممّن يدّعي الإسلام ويدوّن الأحاديث المتقدمة وغيرها كثير في كتب دينه ومعتقده ثم يعرض عن مفادها بدعوى لا تزيدك إلا ذهولاً ، من إصرارهم واستماتتهم في الإعراض عن أهل بيت النبي الأطهر صلى الله عليه وآله وسلم مع أن الأحاديث المدوّنة عندهم تقطع على المسلم معاذيره وتصف المُعْرِض بأسوأ النعوت وأهول الأوصاف وتهدّده بسوء المصير بما لا تنفعه معه شفاعة ولا تشمله رحمة ، فارجع البصر هل ترى من فطور؟

ومن أكثر دعاوى تفلّتهم من لوازم هذه الأحاديث إضحاكاً دعواهم ضعف سندها مع أن مضامينها تجاوزت حد التواتر بكثير جدّاً خصوصاً بحسب مبانيهم في معنى التواتر على أن كثيراً من هذه النصوص مستخرجة من صحاحهم وأمهات مسانيدهم ومعتبراتهم ورواها محبّو أهل البيت وأعداؤهم ، فأين يذهبون؟ وإلى أين المفرّ؟

وسيسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل أجيال أمته إلى يوم القيامة عن كيفية تعاملهم مع أهل بيته وعن مقدار تمسكهم بعترته وقد تركهم عَلَمَ هداية في

الأمة وسبباً لنجاتها كسفينة نوح فليعدّ كُلّ جواباً لنفسه، وإنّي أقطع بأن معظم الأمة خاسر بائر لموقفه من العترة، وكتب القوم حكم بيننا وبينهم.

ثم لا يفوتني التنبيه على أن ما ورد في كتب العامة في فضل أهل بيت النبي عموماً والحسين خصوصاً قد ورد من طرقنا بِكَمٍّ أكثر ومضمونٍ أمتن وأرقى لاهتمامنا وتتبعنا لما ورد في حق أولئك الأبرار الأطهار وشفعاء دار البقاء كما هم سادة دار الدنيا ومعالم الهداية فيها.

ولنتبرّك بإيرادِ حديثٍ منها:

فعن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنّي شافع يوم القيامة لأربعة أصناف ولو جاءوا بذنوب أهل الدنيا:

رجل نصر ذريّتي.

ورجل بذل ماله لذريتي.

ورجل أحبّ ذريتي باللسان والقلب

ورجل سعى في حوائج ذريتي إذا طردوا وشرّدوا»[1].

وسواء كان الحديث متعلقاً بعموم ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو خصوص أهل بيته القريبين منه نسباً أو خصوص المعصومين فإن الحسين داخل في كل عنوان مفترض والحمد لله على هدايته لدينه.

انتهى كل شيء، ولكن...

فرق عظيم بين معركة الطف وبين المعارك الأخرى وإن كانت بمعيّةِ نبيٍّ أو وصيّ.

(١) جامع أحاديث الشيعة: ج١٦، كتاب العشرة، الباب ٩٩، الحديث الأول.

والفرق عظيم بين أصحاب الحسين عليه السلام الذين حضروا يوم الطف وجاهدوا حتى استشهدوا، وبين غيرهم من المقاتلين الذين حضروا المعارك الأخرى وإن علت منازلهم ـ باستثناء المعصومين طبعاً ـ.

أين يقع محل الفرق؟

إنّ الناظر في ظاهر الحال ـ دون أن يتزوّد بعلم غيبيّ ـ يقطع بأن كل شيء قد انتهى يوم الطف، والقضية ـ قضية الإسلام وخط أهل البيت ـ قد وصلت إلى نهاية مداها.

ها هم بنو أمية قد استولوا على شرق العالم وغربه.

وها هم الناس بين منضوٍ تحت لواء بني أمية حتى أصبح كأحدهم.

وبين من رضي دولتهم وعاش في ظلهم قانعاً منبسطاً متأقلماً مع مقاييسهم.

وبين من هو غير مبال أين محل الحق من الباطل، ومن انتصر أو انكسر، والمهم عنده أن يعمل نهاره وينام ليله ويرعى زوجه وأولاده، وهذا هو كل شأنه.

وبين من يعلم أن بني أمية على باطل إلاّ أنه منهار تحت مطارقهم، منزوٍ متكتم على الحق، وعبر سنين أخرى أو ضمن دائرة الجيل الثاني سينتهي هذا التيار ويخلفه من هو على نهج بني أمية.

أمّا أهل الحق، ومن يحمل مشعل الحق، ويقاتل في سبيله ويضحي من أجله، فها هم في الطف محاصرون وسيبادون.

وأيضاً هناك أنصار آخرون مشتتون سيصل إلى نحورهم حدّ السيف واحداً بعد واحد وستنقطع آثارهم.

إذن انتهى كل شيء

أحكام الشريعة قُيِّضَ لها رواة وضاعون، وفقهاء بلاط يحلّلون الحرام ويحرّمون الحلال قد اعدّوا لكل جريمة دليلاً مبيحاً.

والقرآن يُتلى فلا يستفهم عن شيء منه، ولا تجد من يرعوي عن غيّه لأمر القرآن ونهيه، وإن أريد تفهمه وتطبيقه فمفسّرو السلطة والمعتاشون على مائدة الباطل حاضرون لتطبيق الفضائل على أراذل الأمة ولتطبيق آيات التهديد والوعيد على قادة الأمة وحماتها وحصونها ومجاهديها.

انتهى كل شيء

أصبحت الدنيا كلها كرة يتلاعب بها صبيان بني أمية كما نطق بهذا أبو سفيان قبل ثلاثين عاماً من الطف حين ركل قبر حمزة رضي الله عنه.

فإذا انتهى كل شيء، فلم التضحية؟ ولم الموت في سبيل قضيّة خاسرة وصلت إلى حد فنائها وإلى ساحة دفنها؟

ونحن أيضاً معذورون لأننا لا ننفع هذه القضية بشيء بفدائيتنا هذه، فالثبات هنا، في ساحة الطف، إلقاء للنفس في التهلكة.

وهكذا تتداعى الخواطر والأفكار وكلها صحيحة بحسب الظاهر.

لكن...

الإيمان العميق وحده هو الذي يوقف زحف هذه الأفكار على الذهن والروح، ومعه التأييد الربوبي في تلك الساعة المصيرية.

المولى سبحانه يسدّد ويلفت النظر إلى سبب الهداية والنجاة في أرضه.

والرئيس منها اثنان:

القرآن، والإمام.

أما القرآن: فيهدي ويقول:

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[1].

فالقرآن يصرّح أن المنازلة لم تنته وأن حاصل المنازلة ونتيجتها لله سبحانه، متمثلاً بانتصار عباده المرسلين ومن يؤازرهم من الجند الربانيين.

الخاتمة لنا.

الأرض كلها ستكون لنا.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا...﴾[2].

والانتصار لقضيتنا ومسيرتنا.

وأما الإمام: فهو حاضر بشخصه في ساحة المعركة، وحضوره وثباته واستماتته وكلامه وكل موقفه عَلَمٌ للهداية يسترشد به ويقتدى ويعلم أن هذا طريق الصواب والانتصار.

قضية الإمام قضية الله، وقضية الله غير خاسرة أبداً.

---

(١) سورة الصافات، الآيات: ١٧١ و ١٧٢ و ١٧٣.

(٢) سورة النور، الآية: ٥٥.

لكن هداية القرآن والإمام تحتاجان إلى إيمان صلب عظيم عند المرء وارتباط بالمولى سبحانه ليفقه وجه الهداية وليعزم على مفادها.

من خلال أحداث كربلاء يتبيّن لنا أن أصحاب الحسين ممن لا نظير لهم في الدنيا.

لقد تحدّث القرآن عن صحابة رسول الله، وتحدثت السنن عن صحابة النبي والأئمة، وكان الأقلّ منهم هو النبراس، وهو رمز التضحية والثبات.

وأيضاً: تحدّث القرآن عن الذين بلغت قلوبهم الحناجر:

﴿... وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾[1].

تحدث عن الذين قالوا:

﴿...مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾[2].

تحدث عن الذين قالوا:

﴿...إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾[3].

مع أنهم:

﴿...عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ... وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾[4].

تحدث عن الذين قالوا لنبيّهم:

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ١٠.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ١٢.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ١٣.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ١٥.

﴿...فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾[١].

تحدث عن الذين منعهم نبيهم من شرب ماء نهر:

﴿...فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ...﴾[٢].

وتحدث الوصي عن جيشه فذمّهم وعيّرهم وتمنى أن يصرّفهم صرف الدينار بالدرهم[٣].

ولطالما اشتكى منهم[٤].

وأبو محمد الحسن المجتبى سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سلّم الدولة الإسلامية إلى معاوية بعد ما خُذِلَ من جيشه الذي استكان إلى الراحة والدعة.

وأبو عبد الله الحسين عليه السلام قال لصحبه الكرام:

«إني لا أعلم أصحاباً خيراً منكم»[٥].

وأبو الفضل العباس موقعه من أصحاب الحسين موقع القطب من الرحى فهو المتقدم في كل كريهة يردّها عن ابن رسول الله.

عُرِضَ الأمان عليه، فردّه.

ولما فتح الحسين عليه السلام لأصحابه باب الرجوع كان أبو الفضل أوّل من أجابه بالتزام البقاء بل حثّ أخوته على التقدم قبله للقتال كي يعيش مصيبة

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٩.

(٣) الخطبة ٩٧ من خطب نهج البلاغة: ص١٨٠.

(٤) ورد هذا في موارد متعددة من نهج البلاغة، فراجع.

(٥) الملهوف للسيد ابن طاوس: ص١٥١.

استشهادهم ويحتسبهم عند الله ولعلّه ليطمئن إلى إقدامهم وعدم تزلزلهم في الموقف الهائل الذي يزلزل الجبال والصناديد ويطمئن إلى أن أولاد علي بطل الأبطال، والذي شرى نفسه وكل ما يملك لله، قد ساروا مسيرة أبيهم والتحقوا به بنفس طريقه وفدوا أخاهم الحق، وهكذا كان.

ولما طلب الحسين عليه السلام منه الماء لسقي الصبية والعيال بادر إلى طاعته وواجه جيوش الشرك والرذيلة وحده ودخل شريعة الماء لكنّه تناول كفاً ليشرب فيستعين على القتال إذ تذكّر عطش أخيه فرمى الماء من يده وضرب بذلك أعلى مثل في التضحية والإيثار ونكران الذات والفدائية والتسامي بما لا مثيل له ولا نظير.

في حقيقة الأمر: أنّ كل شيء انتهى يوم عاشوراء ووصل إلى نقطة النهاية غير أن حركة الحسين، وتضحية الحسين، وعطش الحسين، وما صاحب هذا من تضحيات آل الحسين وصحب الحسين ـ حتى النساء والصبية أعادت الإسلام إلى التقاط أنفاسه وتنسّم الروح من جديد.

ثورة الحسين عليه السلام زلزلت عروش طواغيت الأمة وفراعنتها وصرخت صرخةً مدوّية في أذن الأمة، وحرّكت الضمائر الميتة والنفوس الخائرة، ووجهت الأمة نحو طريق حريتها وكرامتها وانعتاقها وعلمتهم الجواب الذي لابد أن يهيئوه للآخرة إن أرادوا النجاة من السعير.



العباس، أبو الفضل والإيثار

هناك لحظات في عمر الإنسان، أيّ إنسان، تكشف عن معدنه، وجوهره وملكاته وقيمه، من خلال تصرّفه ـ الحسن أو السيئ ـ عند مواجهة حدث معيّن.

فكم من امرئ ارتقى عند الله لنجاحه في امتحان تلك اللحظة.

وكم من امرئ ارتقى في المجتمع لحسن تصرّفه عند مواجهة حدث أو حالة معيّنة.

وكم من امرئ هوى وسقط أخروياً، أو دنيوياً، لسوء تصرّفه، أو لعدم تفاعله عند مواجهته ما يتطلّب التفاعل والإيثار والمساندة.

وفي مجرى الأحداث: نال أبو الفضل نجاحاً تلو نجاح في اختبارات الحياة، وعند مواجهته لمفترق الطرق، فكشف بذلك عن ذات سامية تستحق التقدم على جميع من عداها، ويليق لها جدّاً كل مكرمة وحظوة عبر مسيرة الإنسانية.

ومن بين تلك المواقف الكريمة لأبي الفضل، موقف في غاية النبل وكرم النفس.

وخلاصته[١]

أن سيد الشهداء عليه السلام أهاب بأبي الفضل السعي لتحصيل الماء للعيال والأطفال بعد ما استشهد عامة جيش الإمام من هاشميين وغيرهم واقتضى الحال نزول أبي الفضل إلى ميدان المعركة، فامتثل أبو الفضل لرغبة الإمام وهجم على أوغاد الجيش الأموي ممن هم في طريقه إلى شريعة الماء ـ وهم كثرة كاثرة ـ فأزاحهم ودخل الشريعة وكان العطش الشديد قد أخذ منه مأخذاً عظيماً خصوصاً بعد ملاحظة:

أ) بقائه وكلّ من معه بلا ماء لمدة طويلة.

ب) الحر الشديد في منطقة القتال.

ج) حالة القتال.

د) الثقل الذي يحمله من لباس المعركة، والراية، والسيف وغيرها من أدوات الهجوم والدفاع.

هـ) الكثرة الكاثرة التي يهاجمها ويتقاتل معها.

و) الآلام النفسية الهائلة التي يعانيها بملاحظة:

١ ـ البلاء الذي يحيط بالإمام الحسين وقطعية انتهائه إلى الاستشهاد.

٢ ـ البلاء العظيم الذي يحيط بالإسلام: بقواعده وكل وجوده.

٣ ـ حالة النساء والأطفال وسط الأعداء، مع العطش الشديد، وتوقع أسرهم وسبيهم والرعب الذي هم فيه.

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٥، ص٤١.

٤ ـ عدم تمكّنه من فعل ما يدفع به هذه البلايا عن دين الله وعن إمامه وأصحابه وأهل بيته وشيعة أهل البيت الصابرين من رجال ونساء.

فمع ملاحظة كل هذا وغيره مما لا يحيط به الفكر في وصف تلك الساعات المهولة، نعلم عظيم عطش أبي الفضل، كل هذا دفعه لأن يَغْتَرِفَ غرْفَةً من ماء النهر ليشرب فتوقف، لماذا؟

قذف الماء من يده، وأبى الشرب، لأن الحسين عليه السلام عطشان.

لو يشرب لعلّه يقوى قليلاً على القتال.

لو يشرب يفرح الإمام لأن عضده العباس قد شرب.

عدم شربه لا يغني عن الإمام شيئاً، ولا يؤثر أثراً.

إلاّ أنها النفس الكبيرة، وتعظيم عنوان الإمام، وابن رسول الله.

إنها الأخوّة، والمحبّة، والوفاء، ومكارم الخصال التي تجذرت في نفس أبي الفضل. إنها المواساة والإيثار.

فرع من شجرة علي بن أبي طالب.

إذ سبقه أبوه في هذا الخلق وهذا الإيثار وهذه المواساة، وهذه المفاداة والتضحية.

لقد نام على فراش أخيه النبي ليلة الهجرة كي ينجو النبي ودين الله وتتحقق إرادة الله ورسوله في الأرض وليكن ما يكون.

ما تركه في صغيرة ولا كبيرة قط. معه في كل محنة وفي كل مفترق.

وفي أحد فرّ عن النبيّ جميع من معه غير علي عليه السلام وأبي دجانة الأنصاري ثم أصيب أبو دجانة فلم يبق إلى جنبه غير علي عليه السلام يردّ عنه صولة العدا.

فقال جبرئيل عليه السلام للنبي :

«يا محمّد إنّ هذه هي المواساة».

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

«إنّ علياً منّي وأنا منه»[١].

فنادى جبرئيل عليه السلام :

«لا فتى إلاّ علي، ولا سيف إلاّ ذو الفقار»[٢].

كما نقل عن الإمام الوصي عليه السلام أنّه عُرِضَ عليه حلوى ـ فالوذج ـ أيام خلافته فمدّ يده ثم قبضها ، فقيل له في ذلك فقال :

«ذكرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه لم يأكله، فكرهت أن آكله»[٣].

والعباس شبل علي حقاً ، وبطل الطف هو ابن بطل بدر وأحد والأحزاب.

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي: ج٢٠، ص١٠٨.

(٢) المصدر نفسه: ج٢٠، ص١٠٥.

(٣) المصدر نفسه: ج٤٠، ص٣٢٧، ح٩.

حب الحسين عليه السلام

ورد أن أبا الفضل بلغ مشرعة الماء بعد أن اكتسح جموع اليزيديين ـ وبعد أن استشهد جميع أصحاب الحسين عليه السلام ومعظم أهل بيته ـ.

ولا يحيط الخيال بمبلغ العطش الذي كان يكابده أبو الفضل.

ومع ذلك، لّما بلغ المشرعة، رفع قليلاً من الماء ليشرب، فتوقّف وألقاه من يده وأعرض عن الشرب، ثم حمل كمية من الماء في القربة التي كان يحملها وتوجّه صوب مخيّم الإمام السبط.

أبى أبو الفضل أن يدخل الماء فمه والحسين يعاني العطش.

ويسأل البعض: لِمَ امتنع أبو الفضل من الشرب، مع أنّه لو شرب فإن أداءه القتالي سيكون أفضل بلا ريب وسيؤدي خدمة أكبر إلى الإمام الشهيد وهذا أولى من تركه الشرب، وأيّ أثر نتج عن عدم الشرب؟

إن كرم الذات وعلو الهمة وسموّ الغاية أهم عند النفوس الكبيرة وذوي الملكات الرفيعة من هذا اللون من التفكير.

لقد تقدم منّا ذكر موقف الإمام الوصي عليه السلام من الحلوى حين قدّمت إليه أيام خلافته فبقدر ما في هذا الموقف من تصميم على التأسّي برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كل أفعاله ففيه دلالة أيضاً على ما يكنّه الوصي عليه السلام من حبّ متجذّر في روحه للنبي الأكرم الأطهر صلى الله عليه وآله وسلم.

نحن نقيس خلفاء الله في الأرض واتجاههم السلوكي بطريقة تفكيرنا وغاياتنا، وهؤلاء الأكارم شيّدوا نظاماً ثانياً للحياة ونقلوا البشرية من واقعها الخسيس إلى واقع آخر لم تكن تحلم البشرية يوماً ببلوغه.

نقلت بعض الكتب[1]، عن عابس بن شبيب الشاكري ـ وهو أحد أبطال الطف وشهداء المبدأ والعقيدة والمثل العليا ـ أنه كان يهجم على جند بني أميّة مرتدياً لباس الحرب فينهزمون من إمامه فإذا به ينزع لباس الحرب ويهجم عليهم، إذ ذاك، صاح به بعض أصحاب الحسين عليه السلام: أجننت يا عابس؟!

فأجاب: حبّ الحسين أجنّني.

عابس ألقى مغافيراً له	حينما أرعبهم مدرّعاً
صارخاً حبّ الهدى أجنّني	فانظرن حبّ الهدى ما صنعا[2]

حبّ الحسين حالة مشتركة بين أصحاب الحسين إلاّ أنه برز في أبي الفضل بمرتبة أعلى بحيث ضنّ على نفسه كفّاً من الماء وهو في أعظم حالات العطش لأن الحسين عطشان بين أعداء الله وأعدائه.

---

(١) راجع: العباس للسيد المقرم: ص١٨٢.

(٢) البيتان من قصيدة طويلة رائعة في الإمام سيد الشهداء وصحبه الأبرار وهي للأخ الشيخ محمد حسين الأنصاري، نظمها في سنة ١٤٠٢هـ.

إن حب الحسين ممّا أمر به الكتاب والسنّة تحت عنوان عام وكذا كعنوان خاص بالحسين السبط.

أما العنوان العام:

فإن أصل استحباب حبّ المؤمنين وموادتهم مما توفّر له الدليل كتاباً وسنّة، ومما جرت عليه سيرة أهل الإيمان عبر العصور، وهذا الحكم يُخضِعُ عنق كل مؤمن للانطواء على حب الحسين سيد المؤمنين وسيد شباب أهل الجنة، بل وإبراز هذا الحب عبر سيرته وسلوكيته مع الحسين عليه السلام، إلاّ أن هناك حيثيّة في الحسين تقتضي لزوم حبّه وهي كونه أحد المعصومين الأربعة عشر فهو سيد من سادات الأمة فيلزم حبّه بمرتبةٍ أعلى من بقية أهل الإيمان.

وهو من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وقد أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بحب أهل بيته.

وهو إمام الأمة وخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

إلى غير هذه من العناوين والمناصب المتوفرة في الحسين وكلها تقتضي حبه بدون أمرٍ شرعي فكيف إذا ورد الأمر به.

قال المولى سبحانه:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾[1].

والحسين أحد المقصودين بهذه الآية المباركة[2].

---

(١) سورة مريم، الآية: ٩٦.

(٢) راجع: فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ج١، ص٢٧٧، عن الرياض النضرة للمحبّ الطبري.

وقال تعالى:

﴿...قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ...﴾[(١)].

والقرآن يذكر هنا قُربى الرسول والحسين عليه السلام منهم[(٢)].

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«أحبّوا الله لما يغدوكم من نعمةٍ، وأحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي»[(٣)].

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«أربع أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذريتي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم في أمورهم عندما اضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه»[(٤)].

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«من مات على حب آل محمد مات شهيداً.

ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفورا له.

ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً.

ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الإيمان.

ألا ومن مات على حب آل محمد بشّره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير.

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

(٢) راجع فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ج٢، ص٦٧؛ فقد نقل هذا عن مصادر عدة منها: الصواعق المحرقة لابن حجر.

(٣) فضائل الخمسة: ج٢، ص٧٥.

(٤) فضائل الخمسة: ج٢، ص٧٧، عن كنز العمال للمتقي الهندي.

ألا ومن مات على حب آل محمد يُزف إلى الجنة كما تُزف العروس إلى بيت زوجها.

ألا ومن مات على حب آل محمد فُتح له في قبره بابان إلى الجنة.

ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزاراً لملائكة الرحمة.

ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة.

ألا ومن مات على بُغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه: آيس من رحمة الله.

ألا ومن مات على بُغض آل محمد مات كافراً.

ألا ومن مات على بُغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة»[١].

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«الزموا مودتنا أهل البيت فإنه من لقي الله عز وجل وهو يودّنا دخل الجنة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده لا ينفع عبداً عمله إلاّ بمعرفة حقنا»[٢].

إلى غيرها من النصوص التي ذكرت في فضائل الخمسة[٣]، في عدّة أبواب فراجعها تغنم.

ثم إنه زيادةً على ما تقدّم هناك نصوص خاصّة تأمر بحب الحسين عليه السلام بالذات وهذا هو العنوان الخاص الذي قدّمنا ذكره، فضلاً عن نصوص تعرضت للأمر بحبه بذكر مشترك له مع أخيه الحسن السبط وهاك بعضها:

---

(١) فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ج٢، ص٧٨، عن الزمخشري في تفسيره الكشاف.

(٢) فضائل الخمسة: ج٢، ص٧٩، عن الهيثمي في مجمعه.

(٣) راجع الجزء الثاني بل راجعه بتمام صفحاته ترَ هذا الأمر كالشمس في رائعة النهار.

فمن القسم الثاني :

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

«**من أحب الحسن والحسين فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني**»[١].

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، في الحسن والحسين عليهما السلام :

«**من أحبني فليحب هذين**»[٢].

وقد نقل في فضائل الخمسة عن مصادر العامة مجموعة من الأحاديث في الحسنين غير ما تقدم.

ومن القسم الأول :

عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم :

«**حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً**»[٣].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم :

«**حسين مني وأنا منه، أحب الله من أحبه**»[٤].

وفيما تقدم ما يورث القطع بالمقام الكريم للحسين عليه السلام عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأن حبه أمر نافع في الدارين بل هو أمر مفروض كبقية الواجبات الشرعية ، وهذا القطع إنما يحصل لكثرة ما ورد في هذا الخصوص في كتب جميع فرق المسلمين ، فإذا لاحظ المرء المصادر التي ذكرت هذا وطبيعة مؤلفيها

(١) فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ج٣، ص٢٠٣ ، عن صحيح ابن ماجة.

(٢) فضائل الخمسة من الصحاح الستة، ج٣، ص٢٠٤ ، عن مسند أبي داود.

(٣) فضائل الخمسة: ج٣، ص٢٩٢ ، عن صحيح الترمذي وصحيح ابن ماجة.

(٤) فضائل الخمسة: ج٣، ص٢٩٣ ، عن البخاري في الأدب المفرد وعن المتقي في كنز العمال.

ومناهجهم في التأليف والظروف التي ألّفوا فيها كتبهم والظرف السياسي القائم يومذاك، ولاحظ أن كل هذه العوامل متضافرة على طمس كل ما يتعلق بأهل البيت عموماً وبالحسين خصوصاً فسيقطع بصدور هذه الروايات عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، بل القطع يحصل دون هذا الأمر بمراتب، بل انتشار هذه الروايات في مختلف كتب المسلمين على اختلاف مذاهبهم ومسالكهم كاف في تحقق القطع والحمد لله رب العالمين على ما رزقنا من ظهور هذه النصوص رغم الأجواء القاتمة التي مرت بالأمة الإسلامية، ولكثرتها ووضحها.

وأسأل الله سبحانه أن يرزقنا الخروج من عهدتها وتبرئة ذمتنا مما كلفنا به تجاه أفضل الخليقة محمد وعترته الميامين صلى الله عليه وآله وسلم.

إن حب الحسين عليه السلام أمر تخضع له النفس بسهولة واسترسال، مع ملاحظة العناوين والحيثيات المتقدمة الذكر إلا إذا كان في المرء خباثةُ ذاتٍ عميقة، أو كثرة مراودة للذنوب الكبيرة وللمعاصي المهلكة بما يجعل على قلبه حجاباً كثيفاً يمنعه من قبول محبوبات الله سبحانه ومن الميل إلى كرائم الذوات والخصال.

من لاحظ في الحسين عليه السلام أنه من جملة من اجتباهم الله سبحانه من عامة خلقه ـ ومن الطبيعي أن الله سبحانه لا يجتبي أحداً لمحض محاباة بل لا يجتبيه ولا يقدمه على غيره إلاّ لتميّزه ولكونه سبق غيره في ميدان المكارم ـ ومن لاحظ فيه عصمته، وكونه إمام الخلق، ومرشدهم وهاديهم في دنياهم بل لاحظ عموم مناصب الحسين عليه السلام في الدنيا والآخرة مما حكته النصوص الكثيرة المسرودة في كتب الإمامية ومخالفيهم على السواء.

وتنبه بعد كل هذا: إلى أن موقع الحسين عليه السلام بين النوع الإنساني هو محض عطاء وإيثار وهداية وملاذ.

هو محض نفع في الدنيا والآخرة.

فكيف لا تحبه النفس والنفوس مجبولة على حب المحسن لها؟!

الحسين: سبب هداية وانقاذ وسعادة، لكن البشرية مرتكسة لأم رأسها في الضلالات والجهالات والخزعبلات، فضيعت على نفسها الاستفادة من هذه النعمة العظيمة.

الحسين محض النفع، فلا يستحق سوى محض الحب.

وقد نبّه الله ورسوله الناس إلى هذا الأمر فلم يغتنمه سوى الأقلين وهو الشيء الذي استوعبه أبو الفضل يوم الطف فضرب المثل الأعلى في حب الحسين، وفي نكران الذات للحسين، وفي الطواعية للحسين، وكان فقده فاجعة كبرى للحسين لها خصوصيتها مع أن الطف كله فجائع عظام.

إن الحب لجهةٍ، يسلس قياد المرء لها فمن أحب الله سبحانه بحقيقة الحبّ وواقعيته نراه متهالكاً في ميدان طاعة الله سبحانه.

ومن أحب النبي وأهل بيته نراه طوع إرادتهم ووفق أمرهم ونهيهم، ومن المعلوم أن أعظم الناس طاعةً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من كان أعظمهم حباً له وهو أمير المؤمنين علي عليه السلام وزوجه الزهراء البتول عليها السلام ثم الأمثل فالأمثل.

وهكذا الأمر مع كل معصوم.

وكان أبو الفضل مع أخيه الحسين: الأمثل في ميدان الحب.

آخر الشهداء

ما السر في بقاء العباس إلى آخر سلسلة الشهادة في كربلاء ــ أي إلى ما قبل استشهاد الإمام السبط بالطبع ـ مع فدائيته وحبه العظيم لأخيه الإمام ونكرانه لذاته، ولعل كون أبو الفضل من أواخر المستشهدين مما لا خلاف فيه بحيث يعتنى به، نعم ربما استشهد بعده أطفال أهل البيت عليهم السلام وصبيتهم عبد الله الرضيع بن الحسين عليه السلام وولدا الإمام الحسن عليهما السلام: القاسم وعبد الله.

إن شهداء الطف كان بعضهم يتقدم بعضاً في القتال لغرض كريم وسامٍ.

فالحر الرياحي تقدم الجميع؛ لأنه كان سبباً في جانب من المأساة والكارثة إذ كان قائداً لألف من جيش ابن زياد، وكانت مهمته التجول بقواته في منطقة واسعة للبحث عن قافلة الإمام كي يحجزه عن المسير أو يقدم به إلى ابن زياد في الكوفة، وقد أدى مهمته بالكامل، إذ حصر الإمام وحجزه عن الخيارات الأخرى التي كانت متاحةً له إلى أن التحقت بهم بقية جيوش ابن زياد ووردت بتمامها وأحكم الطوق على الإمام المظلوم، ثم حصل ما حصل.

وقد اعتذر الحر فيما بعد ـ عند توبته ـ للإمام عليه السلام بأنه لم يكن يتوقع أن تبلغ الأمور هذا المدى، فكان يتصور أن المسألة ستحسم سلمياً بشكل ما وينتهي الأمر فلا يصح منه الاصطدام بالدولة من أول فيتعرض لنقمتها.

ويحتمل قوياً أنه ـ إضافة إلى ما تقدم ـ اطلع على تفاصيل الموضوع من استغاثة أهل الكوفة بالإمام وأن قدوم الإمام كان بناءً على رغبتهم واستدعائهم ومبايعتهم، ورأى عائلة الإمام من نساء وصبية بصحبته، ورأى رجال بني هاشم وشبابهم وأطفالهم، ورؤياهم وصحبتهم والحديث معهم له أثر نفسي عميق لما يُرى من سمو أخلاقهم، وتمثل الكتاب والسنة في سلوكهم، وتجده يتأمل في قربهم من رسول الله، ثم لعله استمع إلى أحاديث الإمام المبينة لمقامه عند الله ورسوله، إلى غير هذه من المشاهد والسماعيات التي تؤثر تأثيراً عميقاً في نفسية كل إنسان، كل هذا جعله يحاسب نفسه ويراجع قناعاته ويغير موقفه فيتحول من عنصر قيادي في جيش الدولة الطاغوتية المتجبرة إلى أصغر جندي في جيش الحسين وفي ظرف ليس فيه احتمال للنجاة والحياة؛ إذ إنه تحول بعد مناقشة مع عمر بن سعد أوضحت له حتمية المعركة وبعدما قطع بتصميم الفئة الحاكمة لإبادة الحسين وصحبه، إذ قال لسعد: أمقاتل أنت هذا الرجل؟ قال: إي والله قتالاً أيسره أن تسقط الرؤوس وتطيح الأيدي.

قال: أفما لكم فيما عرضه عليكم رضا؟ قال عمر: أما لو كان الأمر إلي لفعلت، ولكنّ أميرك قد أبى[1].

فمدخلية الحر في تحقيق هذه الفاجعة جعلت منه يتقدم الصفوف ويفتدي

---

(١) الإرشاد للشيخ المفيد: ج٢، ص٩٩.

الجميع بنفسه ـ الحسين وأهل بيته وصحبه ـ لما له من مدخلية في الكارثة على الجميع.

والمسارعة إلى الفداء كان شأن جميع أصحاب الحسين من غير الهاشميين إذ تقدموا الجمع وضحوا بأنفسهم الشريفة فداء للحسين عليه السلام ولأهل بيته أيضاً.

وإذ لم يبق في الساحة غير بني هاشم فإن علياً الأكبر تقدم الجمع فداءً لوالده المكرّم صلوات الله عليه فمن أحق بمفاداة أبيه سواه، ثم التحق به عموم بني هاشم فداءً للحسين أصلاً وللعباس أيضاً؛ إذ هو ابن أمير المؤمنين وهو الثاني في المرتبة والجلالة في الطف بعد الإمام الحسين عليه السلام ـ باستثناء السجاد والباقر عليهما السلام اللذين لم ينزلا إلى ساحة المعركة لمرض السجاد عليه السلام ولصغر الباقر عليه السلام ـ.

وتقدم أولاد أمير المؤمنين الثلاثة ساحة الفداء، تعظيما وفداءً للإمام ولأبي الفضل.

وهكذا الأمر يستمر على نفس الوتيرة إلى أن بقي في ساحة المعركة الإمام وأخوه أبو الفضل، فتقدم أبو الفضل يفدي أخاه بنفسه ويجود بها في سبيله، بعدما تصبّر في الانتظار وجاهد في تصبره هذا، إذ إنه كان عازماً على المبادرة ومسابقة الآخرين في التضحية بنفسه للإمام ولكل من وُجِدَ في ساحة الطف إلاّ أن حاجة الإمام إليه واستبقاءه له أخّراه.

فمراعاة الجميع لحرمته، واستبقاء الإمام له أخراه، وإلاّ فهو أول الشهداء بحسب تصميمه ونيته، لو تُرك واختياره.

مواقف مضيئة

لأبي الفضل مواقف ريادية وبطولية في الطف تستحق الالتفات والتأكيد.

منها: أنه أول من اختار الإصرار على البقاء مع الحسين حينما عرض الإمام على أهل بيته وصحبه ليلة العاشر الانصراف، فكان أبو الفضل السبب في اختيار الآخرين لهذا الموقف والمعلم لهم، فساعدهم بهذا على الاختيار الأحسن وشخص لهم بهذا: الموقف المناسب في تلك الساعة الحرجة جداً، والتي قد يخفى فيها على المرء وجهته وما ينبغي له فعله.

ومنها: ردّه لأمان ابن زياد مبادراً أخوته بذلك.

ومنها: محاربته للجيش الأموي وحده وتمكنه من فك الحصار عن شريعة الماء وأخذه مقداراً من الماء للحسين عليه السلام وعائلته وإن لم يتمكن من إيصاله لاستشهاده.

ومنها: عدم صدور أي اعتراض أو تذمر أو اقتراح معاكس في مقابل توجيهات الإمام عليه السلام وأوامره.

نعم طرح الإمام على أهل بيته وصحبه الرجوع بتشجيع، وأول من بادر معلناً موقفه في البقاء والاستمرار حتى الشهادة مع الإمام هو أبو الفضل.

وليس هذا من الاعتراض في شيء أو المخالفة، لأن طرح الإمام عليه السلام لم يكن على نحو الأمر المولوي الذي يجب أو يحسن التزامه والعمل به.

بل إن الإمام عليه السلام إنما طرح هذا من باب الترخيص لهم من بعد إسقاط حقه الشخصي تقديراً منه لهم على وفائهم وإخلاصهم وطاعتهم وتسامياً منه ـ صلوات الله عليه ـ إلى أعلى درجات نكران الذات وضرب المثل الأعلى في الرحمة ورعاية أهل الإيمان وكيف لا وقد بلغ المعصومون ـ جميعهم ومنهم الحسين ـ أقصى مراتب الفضل والكمال والسمو، فالإمام الحسين عليه السلام، كما يبذل لله سبحانه لتحقيق إرادته ولنصرة دينه: نفسه ونفيسه، فإنه كذلك يعزّ عليه أن تواجه هذه النفوس المؤمنة الزكية الموت، ويُعلن استعداده لمواجهة عشرات الآلاف من جيش الكفر والارتداد، المتمترسة بجبال الحديد وحيداً فريداً صابراً محتسباً.

فالأمة كلها تجاه قضية الحسين آثمة لنكولها عن نصرته وخاسرة للثواب العظيم في معاضدته، إلاّ أهل بيت الحسين وصحبه الذين واصلوا المسيرة حتى الساعات الأخيرة، فإنهم إن واصلوا بلغوا رفيع الدرجات، وإن رجعوا فبترخيص من الإمام عليه السلام ورضا، ورضاه عليه السلام رضاً لله سبحانه.

ومنها: أن أبا الفضل كان يمثل الإمام عليه السلام عند المفاوضة مع الجيش المرتد؛ إذ كان ركن جيش الإمام عليه السلام، وأبرز شخصية بعده ـ لمرض الإمام السجاد عليه السلام، ولصغر الإمام الباقر عليه السلام ـ.

ما تقدم: بعض المواقف المضيئة لأبي الفضل، وليست هي كل شيء في سجل حياته الذي لا يحوي غير السمو والرفعة والكمال، بل هي بعض آثار ذاته الطاهرة.

ولو قلّبنا صفحات التأريخ وما توفر عن أبي الفضل فيها، فلا تجد في حقه غير ما وصفناه لك، فلا تجد في حقّه شائبة أو عثرة أبداً، من خلال النصوص المعصومية، أو أخبار التأريخ، ولو كان هناك شائبة بحقه لتحدث عنها التأريخ فإن الدواعي لتسجيل كتبة التأريخ لهذا الأمر متوافرة بعدما كان الحكم بيد ألدّ أعدائهم وبعد ما جنّد هؤلاء الأعداء كل إمكانياتهم لبخس قدر البيوت الطاهرة ـ بيوت محمد وعلي وما يرجع إليهما عليهما السلام ـ حتى جندوا سفاكي الدماء ووضاعي الأخبار لتحقيق أهدافهم القذرة، أفهل يسكتون عن عثرة لو وجدت؟ هيهات، ولكن المقطوع به عدمها ولذلك استحال عليهم حتى التلفيق.



بعد عاشوراء

مصيبةٌ هَدَّت بعد مصرع أبي الفضل

ورد عن سيد الشهداء عليه السلام قوله:

«الآن انكسر ظهري، وقلت حيلتي، وشمت بي عدوي».

وورد عن السيدة زينب سيدة النساء بعد الزهراء عليها السلام قولها:

«وا أخاه، وا عبّاساه، وا ضيعتنا بعدك».

لقد انتج فقد أبي الفضل لوعة كبيرة وحزناً لا ينقضي في قلوب أهل البيت عامة، وهذا ظاهر من موقف الإمام سيد الشهداء عليه السلام عند مصرع أبي الفضل ثم المواقف المستمرة لأهل البيت النبوي الطاهر فيما بعد.

ومن نافلة القول أن نبين ما عليه الإمام الحسين عليه السلام، ـ وبقية الأئمة من أهل البيت عليهم السلام ـ من صبر وقدرة على تحمل المصائب والكوارث ومع ذلك فإن هذه الكارثة المهولة أخذت منه عليه السلام مأخذاً، ـ وهو ظاهر من تصريح الإمام عليه السلام المتقدّم ـ.

ومن الطبيعي أن يُحدث فقد أبي الفضل أثراً كبيراً في نفس الإمام عليه السلام وبقية العترة، وكذلك في نفوس جميع المؤمنين الشيعة ـ تبعاً لموقف الأئمة عليهم السلام ـ.

إن من يستطلع النصوص الشريفة وتأريخ الإسلام وكتب التراجم يعلم أن أفراد الأمة الإسلامية مراتب في العقيدة والعمل كثيرة. ويعلم أيضاً أن هناك جمعاً من رجال ونساء الأمة يأتون في المرتبة بعد المعصوم مباشرة وقد أرشدت النصوص الشريفة إلى أصحاب هذا المقام وصرّحت بأسمائهم وبمقاماتهم وبجليل خصالهم.

وفي مقدمة هذه النُخبة: أبو الفضل العباس بن علي بن أبي طالب، ونظرة سريعة إلى الزيارة المروية في أبي الفضل وإلى أفعاله يوم الطف وإلى ما صدر عن الإمام الحسين عليه السلام تجاهه، فإنّه يتجلى لنا هذا المعنى بوضوح.

فإذ يتجلى أمامنا ما تقدم، يتضح لنا:

إن الأثر المأساوي العظيم الذي أحدثه فقد أبي الفضل في نفس الإمام الحسين عليه السلام وفي نفوس بقية الأئمة عليهم السلام وفي نفس السيدة زينب عليها السلام لم يكن لأخوّته، ولهاشميته، ونحو هذه من العناوين محضاً.

وإنما كان لمقامه الإيماني الشامخ ولرتبته عند الله سبحانه وعند رسوله وعند خلفاء الله والرسول صلى الله عليه وآله وسلم ـ الأئمة الاثني عشر عليهم السلام ـ مدخلية كبرى في عظم الفاجعة وفي ثقل الأمر على الإمام الشهيد عليه السلام مع كثرة الشهداء الأعزاء يوم الطف ومع عظم الخسارة الداخلة على الإسلام بفقدهم.

لكن يبقى لأبي الفضل العباس بن علي بن أبي طالب، خصوصية من بينهم جميعاً، وهذه الخصوصية نتجت عن مقامه عند الله تعالى وعند خلفائه، ومقامه نتج عن طهارة الذات، وصلابة العقيدة، ونكران الذات في جنب الله، والطاعة المطلقة، والاستقامة في الفكر والسلوك، بما يعز نظيره، ولذلك عظم على الإمام الحسين عليه السلام مصرعه، وهكذا هي مقاييس الإسلام.

الشيعة وأبو الفضل

لشيعة محمد وآل محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ارتباط عقيدي وعاطفي شديدان مع أبي الفضل العباس، فأول شخصية في الإسلام بعد محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ـ المعصومين الأربعة عشر ـ في المقام والتعظيم والمرتبة عند الشيعة هو: أبو الفضل العباس بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

والسبب الأول لهذا الارتباط العقيدي والعطفي هومواقف أبي الفضل في حركة الحسين عليه السلام، والجنب الأبهر فيها ما كان منه عليه السلام يوم عاشوراء.

والسبب الأكثر دقة مما تقدّم: هو تبجيل الأئمة عليهم السلام للعباس، وممارستهم العملية لما يعبر عن علو مقام أبي الفضل عند الله تعالى من خلال زيارته والنصوص المتلوة في تلك الزيارة.

اهتمام الأئمة عليهم السلام بالعباس، وترشُّح هذا إلى شيعتهم، أنتج أخذ أبي الفضل مرتبة عالية جداً في نفوس المؤمنين رجالاً ونساءً، أطفالاً وكباراً، بحيث يأتي عند الشيعة الإمامية تلو المعصومين ويا لها من مرتبة سامية.

ولا يذهب بك الوهم إلى تصور أن النص صنع لأبي الفضل مقاماً لا دعائم له، إذ لم يحصل أن يسبغ النص صفاتٍ ومقامات على أحد كي يقوم على سوقه وهو ليس بذاك المقام.

بل النص يكشف عن الذات بما تحمل من ملكات ومقومات، ثم بعد يُكرم الأئمة عليهم السلام هذه الذات بالمدح ورفعة الشأن وتولية المناصب ورفع الدرجات، وإلزام الأمة بالتعامل مع هذه الذات على وفق سياقات معينة.

فأبو الفضل: العالم الزاهد، التقي، المجاهد، الفدائي، الممتثل لأمر ولي الأمر الإمام المعصوم، الذي هو خليفة الله ورسوله في الأرض، من دون أي خلاف، أو معاندة، كأبيه أمير المؤمنين عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الصفات الغر لأبي الفضل كثيرة، لكن أعظم مواقفه، وأكثرها كشفاً لخصاله العظيمة، ما جرى منه يوم الطف وبنجاحه المذهل في الامتحان الإلهي يوم الطف نال علو الدرجات وارتقى بما لا يلحقه لاحق.

واليوم، يتنافس شيعة محمد وآل محمد من أقطار العالم للوصول إلى ضريح أبي الفضل ولمسه ويبذلون في هذا: النفيس، ويتحملون له المشاق والمصاعب والأخطار، وما لهم به على العباس من مِنَّةٍ، بل يستوعبون تماماً أن المِنة لله ولمحمد وآل محمد، وللعباس أن نالتهم بركته وشفاعته، وفازوا بزيارته.

ولهذه الاستماتة من الشيعة عبر التأريخ تجاه أبي الفضل، يحاول كل غاشم وجائر الغض من أبي الفضل وتفتيت الجمع من حوله وتبديد الناس عن الاهتمام بحرمه، فما يزداد الأمر إلا رسوخاً وتجذّراً.

ومما دعم هذا الارتباط العقائدي والقلبي بين شيعة آل البيت وأبي الفضل

العباس صدور الكرامات الكثيرة بسبب الاستشفاع به على الله تعالى وعند الاستنجاد به وعند عقد النذور إلى الله تعالى مقترنة بذكره بما له من وجاهة عند المولى تبارك وتقدس.

وصدور الكرامات المرتبطة بساحة أبي الفضل العباس من الأمور المشهورة والمعروفة عند عامة الشيعة فضلاً عن خاصّتهم.

ومما يُذكر في هذا السياق ما نقله الشيخ محمد تقي الفقيه العاملي في أحد كتبه[١].

وعقد السيد المقرم لهذا المعنى فصلاً في كتابه: العباس عليه السلام[٢]، فنبه بالخصوص للكرامة الرابعة التي ألّف بسببها كتاباً بقلم من رُزق شرف تلك الكرامة وهو السيد سعيد الخطيب ـ رحمه الله تعالى ـ.

والحقيقة أن ما يمكن أن يُذكر في هذا المجال أكثر من أن يحصى وأبو الفضل معروف بهذا عند شيعة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وما هذا إلا لما ظهر لهم ظهوراً بيناً ومتعدداً من كرامات أبي الفضل، وقد حصل معي شخصياً ما هو في هذا السياق.

ولا شاهد على علو مقام أبي الفضل عليه السلام عند الله جل وعلا وعند المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام وعند شيعتهم ـ تبعاً لهم ـ في زماننا هذا أبرز من أن يعرّج المرء ليلة الجمعة من كل أسبوع ليرى توافد الشيعة من كل حدب وصوب من أرجاء العراق، ومن جهات عِدّة من المعمورة، على كربلاء، معلنة

---

(١) كتاب حجر وطين للشيخ محمد تقي الفقيه: ج٣، ص٢٠، وما بعدها.

(٢) راجع: العباس عليه السلام للسيد المقرم: ص٢٣٩.

الولاء لأبي الفضل ، وذاكرة لمواقفه الجليلة ، ومتقربةً به إلى الله سبحانه ، ومصممةً على انتهاج سبيله بعد اعتقادها بصحة كل طريق يسلكه أبو الفضل.

بل لو حضر المرء الزيارات المخصوصة الست من كل عام لرأى الجموع المليونية وهي تملأ أرجاء كربلاء المقدسة وسككها وتشير بالسلام على أبي الفضل من بعيد قلباً وقالباً :

(أشهد لك بالتسليم والتصديق، والوفاء والنصيحة، لخلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم المرسل، والسبط المنتجب، والدليل العالم، والوصي المبلغ والمظلوم المهتضم، فجزاك الله عن رسوله، وعن أمير المؤمنين، وعن الحسن والحسين، أفضل الجزاء بما صبرت واحتسبت وأعنت فنعم عقبى الدار).



إحياء الذكرى

وشعائر الحزن

العباس بن علي بن أبي طالب ــ صلوات الله عليهم أجمعين ــ جزء من حاضرنا كما هو جزء من ماضينا.

إذ المعركة التي خاضها أبو الفضل في نهضة أبي الأحرار وسيّد الشهداء الحسين ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ ليست معركة شخصيّة مع بني أمية عامةً ويزيد خاصّة.

بل هي معركة مع هذا النهج، والهدف، والفكر، ولذلك فهي معركة مستمرة، وحق للظالمين أن يرهبوها ويخافوها فهي منتصرة على كل حال.

بنو أمية الذين ارتكبوا كل جريمة بحق الإسلام والأمة وأهل البيت النبوي الطاهر قطعوا الحسين عليه السلام عن كل ارتباط بالعالم وحصروه وحيداً مع ثلّة قليلة من أهل بيته وصحبه في البراري ثم ما تركوه وصحبه، إلاّ جثثاً على صعيد الأرض ورؤوساً على الرماح، وإذا بهم يفاجأون بالحسين ينهض من جديد بعد دفنه مباشرةً فيقلب الدنيا على رؤوسهم ويزلزل الأرض من تحت أرجلهم ويعيد الروح من جديد في الأمة التي استعبدوها واستذلّوها وظنّوا أنهم قد أحرزوا نصرتها ـ رغبة أو رهبة ـ فإذا بنو أمية قد مُزِقّوا بيد أبناء هذه الأمة كل ممزق وتفرّق جمعهم وتبدّد شملهم وضاعت آثارهم.

وبقي الحسين وفكر الحسين وثورة الحسين مناراً للأجيال.

بقيت ثورة الحسين موجاً كاسحاً متصاعداً يتحسّس آثارها كل طاغوت ويسعى لهذا السبب أو تلك الدعوى لإيقاف زحفها عليه وعلى نهجه وبنائه.

لقد ذهب بنو أمية إلى حيث مصيرهم الأسود، لكن بعض نهجهم وفكرهم ما يزال حياً يرفد الأمة بالانحراف والشقاق عن نهج الثقلين اللذين تركهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم هاديين للأمة إلى حيث إرادة الله سبحانه وصراطه.

فلما كان بعض النهج الأموي مستمراً وقد صرّح القرآن بأن بني أميّة شجرة ملعونة[١]، ولا يتفرّع عنها إلاّ الخبيث المضلّ، ولأن المولى سبحانه جعل محمداً وآل محمد سفينة النجاة، فكما أن سفينة نوح سبب للنجاة من الغضب الإلهي الذي لم ينج منه حتى ابن نوح؛ إذ لم يركب تلك السفينة، فكذا محمد وآل محمد في هذه الأمة، فمن لم يتمسّك بهم ويجبر على منهاجهم ويتّبع خطواتهم فهو ضالّ وغاية طريقه النار، وإلاّ فما معنى أنّهم سفينة النجاة؟!

ولهذا وغيره، فلابدّ أن يدوم كل ما به ذكر محمد وآل محمد وما به نشر أمرهم ونهجهم ومعتقدهم وفقههم.

كما لابدّ أن يدوم كل ما به فضح بني أمية وأمثالهم وما به طمس أمرهم ونهجهم وكل ما ابتدعوه وخالفوا به الكتاب والعترة، وما الكتاب والعترة إلاّ الثقلان اللذان لا نجاة لأحد من الأمة في الدارين إلاّ بهما وكلّ من لم يتمسك بهما فهو خاسر بائر ينتهي إلى النار كما صرّحت بهذا الأحاديث الموجودة في كتب الشيعة والسنّة فلينظر ناظر لنفسه وليستنقذ نفسه قبل أن لا ينفع مال ولا بنون ولا تقبل شفاعة ولا تؤخذ فدية.

---

(١) راجع: فضائل الخمسة من الصحاح الستة، للفيروز آبادي: ج٣، ص٣٠٨، فقد نقل هذا عن جمعٍ منهم الفخر الرازي في ذيل تفسيره للآية الكريمة.

وأهم ما في النصوص لإحياء الذكرى[1]

١) زيارة المراقد المقدسة.

٢) عقد المجالس التي يتم فيها ذكر المصيبة ويحصل فيها تذاكر الحديث وإثارة الحزن.

٣) البكاء.

٤) قول الشعر ونظمه لرثاء الإمام عليه السلام.

وقد مارس الأئمة عليهم السلام الشعائر المتقدمة ـ باستثناء نظم الشعر، نعم هم عليهم السلام شجّعوا الشعراء على النظم في هذا المسار ـ وحثّوا الشيعة عليها ورغّبوا فيها وبيّنوا لها آثاراً هائلة في الدنيا والآخرة لا يرغب عنها إلاّ مختلّ الفكر أو منحرف العقيدة، ومما يجدر الإشارة إليه والتنبيه عليه: ما حكاه السيد حسن الأبطحي من لقاء أحد المؤمنين بسيّد العصر وخليفة الرحمان في عصرنا الإمام المهدي ـ عجل الله تعالى فرجه ـ وحكايته اهتمام الإمام عليه السلام بحضور مجلس للمؤمنين

(١) راجع: كامل الزيارات للشيخ ابن قولويه.

يُذكر فيه أبو الفضل العباس ويُبكى عليه بل يشاركهم الإمام عليه السلام في البكاء[1].

وهذه القضيّة تبليغ من إمام العصر لشيعته في خصوص أبي الفضل ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ لعصرنا هذا، فمن يتناول هذه المجالس بالتهوين والتوهين بدعوى اختلاف الأزمنة واختلاف احتياجات الأمة فيها فإن هذه المقابلة مع إمام العصر وما جرى فيها حجة عليه.

غير أن عنوان الإحياء واسع جداً فلا يقتصر على ما تقدم بل يشمل كلّ ما سمح به الزمان والمكان من إمكانات تستخدم لهدف الإحياء ونشر الذكر ونحو هذه من العناوين.

ولذلك يمكن الزيادة بطرائق كثيرة وفّرها لنا زماننا ـ زيادة على ما تقدّم ـ لإحياء أمر شهداء الطف ولإذاعة أهدافهم وقضيّتهم ولشرح المعتقد والنهج الذي أرادوا له النشر والإحياء عبر حركتهم، وأيضاً لطمس معالم الكفر والنفاق والانحراف التي أراد لها بنو أمية ـ أبو سفيان ومعاوية ويزيد وكل من جاء بعدهم أو التف حولهم وعمل على وفق مرادهم ـ الحياة والانتشار وما بذلوا في سبيله كل جهدهم لإطفاء شعلة الإسلام التي حملها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استنقاذاً للعالمين.

ثم إننا توسعنا في كتابنا ـ مسلم بن عقيل ـ في موضوع: إحياء الذكرى، فنكتفي بما سجّلناه هناك.

---

(١) الكمالات الروحية للسيد حسن الأبطحي: ص١٤٠ ـ ١٤٥، والظاهر أن الحادثة هذه مما لا ريب فيها لوثاقة ناقليها على ما هو ظاهر من كلام السيد الأبطحي.

ماذا في الزيارة؟

الزيارة: التي يزار بها غير المعصوم؛ إلاّ أن نصها صادر من المعصوم عليه السلام، تكشف عن خصائص المزور وملكاته، وتكشف عن معتقده وسلوكه اللذين أدّيا إلى مقبولية الأئمة عليهم السلام له وإلى رقيّه في مدارس الرفعة والكمال على أساسها.

فمن خلال نص الزيارة الوارد عن المعصوم نستطيع استكشاف جهات حسن في المزور، ونتعرف من خلالها على أعماله العظيمة التي جعلت له عند الأئمة عليهم السلام قيمة عالية وأدّت إلى اهتمامهم به وتخصيصه من بين الأمة، بل من بين أبطالها بهذا التقدير الخاص.

وقلنا هذا، حول الزيارة التي يُزار بها غير المعصوم، وأما المعصوم: فلا يُمكن معرفة حدود خصائصه وصفاته الكريمة وجهات العظمة في شخصيته من خلال الزيارة وإن ورد نصّها عن معصوم ـ إلاّ مع البناء على الاستيعاب ـ.

إذ إن جهات العظمة في شخصية الإمام على مستوى المعتقد وعلى مستوى السلوك، لها عرض عريض، لم تستوعبه زيارة محددة وإن أوضحت مضامين تلك الزيارات عن الكيفية التي ينبغي أن تراعى عند الزيارة كما صرّحت ببعض جهات الفضل والعظمة في المعصومين الأربعة عشر صلوات الله عليهم أجمعين دون استيعاب هذه الجوانب، وإلا فالحديث عن المعصومين يبتدئ ولا ينتهي؛ لأنه جانب

ثر لم نُحط به ولا قدرة لنا على الاستيعاب الشامل لهذا الجانب من جوانب المعرفة، ومن يطلع على الروايات الواردة من طرق السنة فضلاً عن الروايات من طرق الامامية ويتأمل فيها يرى سعة الهوة بين ما نحيط به فعلاً وبين المقام الحقيقي لأولئك الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وأوجب مودتهم على الخلق أجمعين، ويكفيك في المرحلة الأولى أن تتأمل فيما جمعه الفيروز آبادي في كتاب (فضائل الخمسة من الصحاح الستة).

أما أن نصل إلى حقيقة ما هم عليه من فضل وعظمة فهذا ـ وقد دلّت النصوص عليه ـ دونه خرط القتاد، ودونه ركوب الصعب الذلول كي تستوعبه النفس وتخضع له.

خُذ مثلاً وتأمل فيما رواه المحب الطبري في الرياض النضرة ـ وهو من أعلام العامة ـ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله:

«كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم عليه السلام بأربعة عشر ألف عام فلمّا خلق الله آدم عليه السلام قسم ذلك النور جزءين فجزءٌ أنا وجزء علي»[(١)].

وتأمل في قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن الله عزّ وجل اطّلع إلى أهل الأرض فاختار رجلين أحدهما أبوك والآخر بعلك»[(٢)].

مخاطباً فاطمة الزهراء عليها السلام.

---

(١) فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ج١، ص١٦٨؛ الرياض النضرة: ج٢، ص١٦٤.

(٢) أنظر: فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ج١، ص١٧٣، عن مستدرك الصحيحين للحاكم عن أبي هريرة.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«لما عرج بي رأيت على ساق العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته بعلي»[١].

فتأمل في أن تأييد النبي بعلي مكتوب على ساق العرش.

وحول الآية المباركة:

﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾[٢].

يُروى عن أبي سعيد الخُدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال:

«وقفوهم إنهم مسؤولون: عن ولاية علي عليه السلام»[٣].

فانظر إلى هذه الولاية وجهات عظمتها وأهميّتها عند الله سبحانه ومدخليتها في تحديد مسار الإنسان إلى جنّة أو نار بحيث يُسأل عنها الناس أجمعون من بعد مبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى يوم القيامة، فهل هذه الولاية هي استلامه الخلافة بعد الخلفاء الثلاثة أم هي حبه ومودته، إنها خدعة الصبي عن اللبن، بل هي ولاية عظيمة اهتم لها المولى سبحانه وشرّعها وأنزلها في قرآنه وبلغها البشرية في يوم الغدير والتي على أساسها بايعه المسلمون كافة حتى أبو بكر وعمر ونزلت على أثرها:

﴿...ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ...﴾[٤].

ثم سيسأل الله سبحانه عنها الناس أجمعين يوم القيامة ويحدد مسار الناس كافة على أساسها إلى جنة أو نار.

---

(١) فضائل الخمسة: ج١، ص١٧٥؛ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج١١.

(٢) سورة الصافات، الآية: ٢٤.

(٣) فضائل الخمسة: ج١، ص٢٨١، الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي: ص٨٩.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٣.

زيارة أبي الفضل عليه السلام

امش حتى تأتي مشهده ، فإذا أتيته فقف على باب السقيفة وقُل :

(سلام الله، وسلام ملائكته المقرّبين، وأنبيائه المرسلين، وعباده الصالحين، وجميع الشهداء والصديقين، الزاكيات الطيبات فيما تغتدي وتروح، عليك يا ابن أمير المؤمنين.

أشهدُ لك بالتسليم والتصديق، والوفاء والنصيحة، لخلف النبي صلى الله عليه وآله المرسل، والسبط المنتجب، والدليل العالم، والوصي المبلغ، والمظلوم المهتضم، فجزاك الله عن رسوله وعن أمير المؤمنين، وعن الحسن والحسين، أفضل الجزاء بما صبرت واحتسبت وأعنت، فنعم عُقبى الدار. لعن الله من قتلك، ولعن الله من جهل حقك، واستخف بحُرمتك، ولعن الله من حال بينك وبين ماء الفرات.

أشهد أنك قتلت مظلوماً، وأن الله منجز لكم ثأر ما وعدكم.

جئتك يا ابن أمير المؤمنين، وافداً إليكم، وقلبي مُسلّم لكُم، وأنا لكم تابعٌ، ونُصرتي لكُم مُعدة، حتى يحكمَ الله بأمرهِ وهوَ خيرُ الحاكمين.

فمعكُم معكم لا مع عدوّكم إني بِكم وبإيابِكُم من المؤمنين، وبِمَن خالفكُم وقتلكُم من الكافرين، قتل اللهُ أمةً قتلتكُم بالأيدي والألسن.

ثم ادخل وانكب على القبر وقل :

السلامُ عليك أيها العبد الصالح المطيع لله ولرسوله ولأمير المؤمنين والحسن والحسين صلى الله عليهم. السلام عليك ورحمة الله وبركاته ومغفرته ورضوانه على روحك وبدنك، أشهدُ وأُشهدُ الله أنك مضيت على ما مضى عليه البدريون والمجاهدون في سبيل الله، المُناصحونَ له في جهاد أعدائه، المبالغون في نُصرَةِ أوليائه الذابّون عن أحبائه، فجزاك اللهُ أفضلَ الجزاء وأفر جزاء أحدٍ وفى ببيعته واستجاب له دعوته وأطاع ولاة أمره.

أشهد أنك قد بالغت في النصيحة وأعطيت غاية المجهود، فبعثك الله في الشهداء وجعل روحك مع أرواح السعداء، وأعطاك من جنانه أفسحها منزلاً، وأفضلها غُرفاً، ورفع ذكرك في عِليّين وحشرك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. أشهد أنك لم تَهن ولم تنكل، وأنك مضيت على بصيرة من أمرك مقتدياً بالصالحين ومُتبعاً للنبيين، فجمع الله بيننا وبينك وبين رسوله وأوليائه في منازل المخبتين فإنه أرحم الراحمين.

ثم انحرف إلى عند الرأس فصل ركعتين ثم صلّ بعدهما ما بدا لك وادعُ الله كثيراً وقل عقيب الصلاة :

اللهم صلّ على محمد وآل محمد، ولا تدع لي في هذا المكان المُكرّم والمشهدِ المُعظّم ذنباً إلاّ غفرته، ولا همّاً إلاّ فرّجته، ولا مرضاً إلاّ شفيته، ولا عيباً إلا سترته، ولا رزقاً إلا بسطته، ولا خوفاً إلاّ آمنته، ولا شملاً إلا جمعته، ولا غائباً إلا حفظته وأدنيته، ولا حاجةً من حوائج الدنيا والآخرة لك فيها رضىً، ولي فيها صلاح، إلاّ قضيتها يا أرحم الراحمين.

ثمُ عُد إلى الضريح فقف عند الرجلين وقل :

السلام عليك يا أبا الفضل العباس ابن أمير المؤمنين، السلام عليك يا بن سيد الوصيين، السلام عليك يا بن أول القوم إسلاماً، وأقدمهم إيماناً، وأقومهم بدين الله، وأحوطهم على الإسلام.

أشهدُ: لقد نصحت لله ولرسوله ولأخيك، فنعم الأخ المواسي، فلعن الله أمة قتلتك، ولعن الله أمة ظلمتك، ولعن الله أمة استحلت منك المحارم وانتهكت حرمة الإسلام فنعم الصابر، المجاهد، المحامي، الناصر، الأخُ الدافع عن أخيه، المجيب إلى طاعة ربّه، الراغب فيما زهد فيه غيره من الثواب الجزيل والثناء الجميل، وألحقك الله بدرجة آبائك في جنّات النعيم.

اللهم إني تعرضتُ لزيارة أوليائك رغبةً في ثوابك ورجاءً لمغفرتك وجزيل إحسانك، فأسألك أن تصلي على محمد وآله الطاهرين، وأن تجعل رزقي بهم دارّاً، وعيشي بهم قارّاً، وزيارتي بهم مقبولة، وحياتي بهم طيبة وأدرجني إدراج المُكرمين، واجعلني ممن ينقلب من زيارة مشاهد أحبائك مفلحاً منجحاً قد استوجب غفران الذنوب وستر العيوب وكشف الكروب إنّك أهل التقوى وأهل المغفرة.

فإذا أردت وداعه سلام الله عليه فقل:

استودعك الله وأسترعيك، وأقرأ عليك السلام، آمنا بالله وبرسوله وبكتابه وبما جاء من عند الله، اللهمّ اكتُبنا مع الشاهدين، اللهم لا تجعله آخر العهد من زيارتي قبر ابن أخي رسولك صلى الله عليه وآله وسلم وارزُقني زيارته أبداً ما أبقيتني واحشرني معه ومع آبائه في الجنان وعرّف بيني وبينه وبين رسولك وأوليائك.

أللهم صلّ على محمد وآل محمد، وتوفني على الإيمان بك، والتصديق برسولك، والولاية لعلي بن أبي طالب والأئمة عليهم السلام، والبراءة من أعدائهم فإني رضيتُ بذلك وصلى الله على محمد وآل محمد.

وادع لنفسك ولوالديك وإخوانك المؤمنين[1].

---

(١) مصباح الزائر للسيد ابن طاووس: ص٢١٣.

فضل زيارة أبي الفضل عليه السلام

من خلال هذه الزيارة المروية عن المعصوم تستطيع أن تستنتج المقام العظيم لأبي الفضل والفضل الكبير في زيارته فهو من الآحاد الذين وردت بحقهم زيارة مخصوصة بنصّ المعصوم عليه السلام، وبهذا المحتوى المبهر.

ولا يستطيع المرء إلاّ أن يقف إجلالاً وخشوعاً أمام عظمة أبي الفضل العباس ومقامه السامي في الدنيا والآخرة ويستذكر تلك المواقف البطولية النبيلة في حركة الطف عموماً وفي عرصات كربلاء بالخصوص ويهمل الدموع على تلك الذات المقدسة التي قُطّعت إرباً مجاهرة بالعداء لله سبحانه ولنبيّه ولرسالته وإصحاراً ببغض هذا البيت الطاهر.

بعد التأمل في ثنايا الزيارات المتوفرة تجد أنها تتضمن شواهد لعدة مطالب:

١ ـ المدح العظيم لمواقف أبي الفضل مع الإمام الحسين السبط عليه السلام في حركته الخالدة، وبيان علوّ مرقاته في تلك المواقف.

٢ ـ مدح عام لشخصيّة أبي الفضل، كاشف عن تمجيده لمواقفه في الطف بما يدل قطعاً على نفسٍ كبيرة وملكات جليلة وتربية عالية تليق بمن عاش في كنف علي

أمير المؤمنين وقضى حياته كلها مع سبطي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٣ ـ الشهادة باستحقاقه السلام من الله جل وعلا ومن أنبيائه ومن عباده الصالحين ومن جميع الشهداء والصديقين، وهذا شاهد عظيم على رفعة مقامه في الطف، وكاشف عن نوعيّة ما صدر منه من بطولات في ذلك اليوم المهول، وكل هذا يكشف عن كمالٍ نادر فيه يتميز به عن حاضري الطفّ.

٤ ـ لعن كل من اتخذ موقفاً مضاداً لأبي الفضل في يوم الطف من قاتل له ومن مستخف بحرمته ومن جاهل بحقه وهذا الشاهد يعطي الصوابية لأبي الفضل في كل أفعاله وما صدر عنه وهذا يشهد بما كان عليه من علوّ ذات ومن رجاحة في كل موقفٍ اتخذه فهو كامل الروح والعقل بل كامل في ذاته الإنسانية من جميع جوانبها.

فالقصد إن ما في الزيارات يدل على عظمة أبي الفضل في الحركة الحسينية من أولها إلى آخرها.

ويدل على كمال صفاته في طول مسيرة حياته والتأمل في النصوص يقتضي النتائج المتقدمة بوضوح.

ثم إن المواقف المهمة التي وقفها أبو الفضل التي أوجبت له المدح الوارد في النصوص بحقه هي:

١ ـ تسليمه للإمام الحسين عليه السلام فلا يعارضه أو يناقشه أو يتردّد في اتباع أمره.

٢ ـ تصديقه بكل ما جاء به وأظهره من أحكام الشرع المقدس.

٣ ـ وفاؤه له.

٤ ـ نصيحته له ونكران ذاته لأجله بل مبالغته في النصيحة.

٥ ـ مبالغته في نصرة الإمام عليه السلام.

٦ ـ ذبّه عن الحسين عليه السلام ودفاعه عنه.

٧ ـ بذله غاية مجهوده في جنب الإمام عليه السلام نصرةً له ولقضيته.

٨ ـ عدم وهنه وعدم تراجعه عن مواقفه.

٩ ـ إنه على بصيرة ووعي في إقدامه هذا وجهاده.

١٠ ـ صبره في جهاده هذا.

١١ ـ دفعه عن أخيه الحسين لعنوان الأخوّة.

١٢ ـ رغبته في هذا الطريق بما أنه سبيل مرضاة الله تعالى ولنيل ثوابه.

١٣ ـ إنه قام بكل هذا لتوفر عنوانين في الحسين: خلافته لله ورسوله في الأرض، وبنوّته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

المدفن المقدس

هوى أبو الفضل شهيداً بعد رجوعه من نهر العلقمي، إذ كان يصنع المستحيل للحصول على مقدار من الماء للنساء والأطفال حسب توجيه الإمام القائد ـ الحسين عليه السلام ـ وقد حصل على مقدار منه غير أن أوغاد بني أمية مزقوا القربة بسهامهم وضربوا أبا الفضل على رأسه بعمود وقطعوا يديه وطعنوه في عينه مع مالا يحصى من الطعنات بالسيوف والرماح والسهام فهوى شهيداً خالداً مع الأبد، وكان هَوِيُّهُ في مكانٍ بين شريعة الماء ومخيم الحسين عليه السلام حيث مرقده المقدّس اليوم.

ولعوامل عدّة منها: كثرة ما أصاب أبا الفضل من العدا، مما جعل من الصعب نقله عن موقعه، فقد أدى هذا إلى دفن أبي الفضل في مدفن مستقل متباعد عن مدفن الإمام الحسين عليه السلام وبقية الشهداء وهو ما قد يأسى عليه المرء في وقته، إذ لم يدفن العباس إلى جنب أخيه وحبيبه الحسين عليه السلام.

إلاّ أن وراء أكمة الغيب ما وراءها.

فلقد أظهر المولى للعباس عليه السلام من كرامته وفضله ما يليق بالعباس ويستحقه، فهذا حرمه وقبره مقصد الملايين من المؤمنين المحبين من أقطار العالم يؤمونه

ويتحملون في سبيل الوصول إليه ـ عبر التأريخ الطويل ـ الشدائد للوقوف على أعتابه وللثم ضريحه وجدران حرمه ودموعهم تجري والزفرات تتصاعد وهم يلهجون كما عن إمامهم الصادق عليه السلام: (أشهد لك بالتسليم والتصديق والوفاء والنصيحة لخلف النبي المرسل والسبط المنتجب والدليل العالم والوصي المبلغ والمظلوم المهتضم).

ويشهدون عن وعي وإدراك ـ (أشهدُ وأُشهِدُ الله أنك مضيت على ما مضى به البدريون، والمجاهدون في سبيل الله، المناصحون له في جهاد أعدائه، المبالغون في نُصرة أوليائه، الذابّون عن أحبّائه)[1].

وقد يأبى بعض الباحثين قبول سببية امتناع سيد الشهداء عن نقل أخيه أبي الفضل مع بقيّة الشهداء لحالة أبي الفضل الجسدية من تقطّع أوصاله بسبب ضرب السيوف والرماح الأمويّة، ويختار ان امتناع الإمام لغرض حصول الدفن المستقل وظهور الكرامة لأبي الفضل في ضريح ومشهد منفردين، بدعوى أن الإمام بما هو إمام قادر على تحقيق النقل مهما كانت حالة أبي الفضل.

وأقول: صحيح ما ذكره من قدرة الإمام ولا ريب إلاّ أن الأمر غير محتاج إلى إعمال هذه القدرة وليس هذا الأمر من عادات الأئمة عليهم السلام بل لا يصدر عنهم إلاّ في الحالات القصوى.

وثانياً: لا مانع من تداخل الأسباب المحققة لغرض عدم نقل الجثمان المبارك.

وثالثاً: من يدقق في سلوك الأئمة عليهم السلام يرى أنهم لا يلتفتون إلى هذه الأمور بهذه المثابة بل هم في منتهى التضحية ونكران الذات في جنب الله سبحانه، غير

---

(١) مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي، في زيارة أبي الفضل المذكورة بعد زيارة وارث: ص٥٠٩.

أن ما يحصل بعد إنما هو من مباركات الله سبحانه لتلك الجهود المخلصة ولتلك الآلام والتضحيات التي لا حدّ لها ولا نظير، فهم يعملون مع إنكار تام لذواتهم، والأعداء يسعون بكل قوتهم لطمس وجودهم وذكرهم وكل ما يتعلق بهم، ومن بين كل هذا وذاك يظهر الله لهم من نفحات جوده ولطفه ما يحيي به ذكرهم وينشر لهم مآثرهم ويعلي بذكرهم على كل ذلك.

على أن الاهتمام الذي ناله أبو الفضل والتقديس الذي تكنه له قلوب الشيعة والقصد لمرقده المبارك لم يحصل نتيجة انفراد مرقده واستقلاله عليه السلام عن حرم سيد الشهداء عليه السلام فكم هناك من مراقد مستقلة وما من أحدٍ يعطيها هذا الاهتمام.

وإنما حصل الاهتمام بسبب تبجيل الأئمة عليهم السلام له وتوجيه الشيعة إلى زيارته والاهتمام به، وتعظيمهم لقدره عبر النصوص الصادرة عنهم ولسلوكهم الشخصي مع مرقده المبارك.

وإلاّ فلم يضرّ الإمام الجواد اشتراكه مع جدّه موسى بن جعفر في الحرم والضريح ولم ينتفع من له ضريح مستقل من أولاد الأئمة باستقلاليتهم مع عدم ورود مثل هذا الاهتمام بحقهم عن الأئمة عليهم السلام قادة الكيان الإسلامي.

مدفن أبي الفضل عليه السلام

أما الجسد الأطهر لأبي الفضل فهو مدفون في كربلاء في مشهد خاص به وهذا أمر يعرفه جميع الشيعة صغارهم وكبارهم.

وبالنسبة للرأس المقدّس، قيل:

ألف) أعيد إلى كربلاء مع زين العابدين عليه السلام والذي أرجع الرؤوس الشريفة ـ كلاً أو بعضاً ـ.

باء) إنه مدفون في مشهد خاصّ في دمشق في المقبرة المعروفة بمقبرة باب الصغيرة.

وهناك مقامان لكفي أبي الفضل عليه السلام:

١) مقام (الكف اليُمنى) وهو قريب من باب الصحن الواقعة في الجهة الشرقية.

٢) مقام (الكف اليُسرى) بالقرب من الباب الصغير للصحن الواقعة في الجنوب الشرقي.

وقد تكفّل ببيان تفاصيل ما تقدم السيد المقرم في كتابه ـ العباس عليه السلام ـ.

الدرس المستفاد

الدرس الذي تستفيده الأمة من مجمل حركة أبي الفضل العباس بن علي في طول مسيرته مع الإمام الحسين عليه السلام في الطف:

١ ـ إن التعامل مع الإمام الحسين عليه السلام على أنه الإمام المعصوم المفترض الطاعة والمسدّد من المولى سبحانه والأعرف بمواقع الصلاح والنجاح فلا يتقدمه في أمر أو اختيار ولا يعارضه ولا يناقشه بل يصدر عنه بلا تروّ وبلا تردد.

قال المولى سبحانه:

﴿... يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ ...﴾[1].

ويجري هذا الحكم في الحسين عليه السلام أيضاً لتوفر أدلة متعدّدة بل كثيرة جداً تفيده وتلزم به.

والتعامل مع الإمام المعصوم على هذا الأساس طريق الفوز ونجاح المقصد وهكذا كان علي عليه السلام مع النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فما أن

(١) سورة الحجرات، الآية: ١.

يأمره بأمر فإذا به يصدر عنه بلا نقاش وبلا تردد، فالتردد أول الوهن وبابٌ للمعاصي والعياذ بالله العظيم.

وما نجحت تحركات المعصومين إلاّ بطاعة أنصارهم وأجنادهم وشيعتهم لهم، وما عكست معهم الرياح إلاّ بالتردد وكثرة الجدال من الأتباع والذين يُفترض بهم المبادرة إلى الطاعة.

٢ ـ التعامل مع الإمام على أنه الإمام الواجب الطاعة وأنّه ابن رسول الله لا على أنه أخ أو أب أو جدّ أو قريب وشتّان ما بينهما، والمثل الأعلى في هذا الميدان علي عليه السلام؛ إذ كان تعامله مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لا على أنه ابن عم أو مُربٍّ أو أخ أو صهر أو جار ونحو هذه.

٣ ـ التضحية في سبيل الإمام، وعند أمر الإمام، بكل شيء مهما بلغت نفاسته، أي يضحي المرء بدمه وماله وعائلته وروحه وكل ما يتعلق به أي يضحي بكل وجوده.

وذلك أن الإمام إنسانٌ معصوم، وهو خليفة الله في الأرض، وأوامره ونواهيه، إنما هي أوامر المولى سبحانه ونواهيه، والتضحية في سبيله، تضحية في سبيل الله والتعامل معه دائماً يتمحور على هذا الأساس.

وبحكم كون الإنسان عبداً لله ومملوكاً له فيستحق الرب الجليل علينا الإطاعة المطلقة وإن لم تكن هناك جنة أو أي عوض مقابل هذه التضحية وهذه الإطاعة؛ فكيف والمولى يَعِدُ عليها بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وإطاعة الإمام هي الطريق إلى هذا النعيم.

لم يُنقل عن أبي الفضل اشتراطه على الإمام شيئاً مقابل طاعته وتضحيته حتى ولو كان الشرط هو دخول الجنة وصحبة الإمام في مراتبه العلى في نعيم ا لأبد أو نحو هذه من الشروط ذات البُعد الأخروي، بل كان أبو الفضل يقذف نفسه في لهوات الموت دون تأمل في أيّة عملية حسابية أخروية أو دنيوية؛ إذ لا يُحتمل في الإمام غير بيان إرادات الله سبحانه وغير الانسياق في خط رضاه.

والحقيقة أن هذه الظاهرة في أبي الفضل من أوضح الظواهر ومن أشدها إشراقاً، ولعله المَعْلَمُ الأول بين كل أصحاب المعصومين ومن بين جميع الهاشميين والذي ظهرت هذه الصفة فيه دون أية شائبة.

٤ ـ إن في الأمور الترخيصية ـ كما عندما رخّص الإمام لأصحابه في الرجوع ـ على المرء أن يلاحظ دائماً مصلحة الإسلام والإمام وأن يرجّح جانبهما على ملاحظة مصالح نفسه، وفي الحقيقة أن من يجري على وفق مصلحة الإسلام والمعصوم عليه السلام فإنما يعمل لمصلحة نفسه في نفس الوقت؛ لأن كل عمل في هذا السياق يستتبع المغانم والفوائد في الدنيا والآخرة بِعكس ملاحظة جانب الذات.

وقد اتخذ أبو الفضل موقفاً سريعاً عندما عرض الإمام عليهم الرجوع فأعلن الثبات والصمود معه وأصبح مناراً يقتدي به الآخرون من أهل بيت الإمام وصحبه ـ إذ قد يتوقف المرء في تشخيص الموقف الملائم للشرع وللواقع في مثل هذه الحالات التي تتطلّب مواقف حازمة وسريعة ـ.

وهناك دروس ومعانٍ عِدّة يُمكن استفادتها من خلال حركة أبي الفضل ووجه مدح الأئمة عليهم السلام له تعرّضنا لبعضها في فصل ـ ماذا في الزيارة ـ.

أربعينية سيد الشهداء عليه السلام

حادثة أربعينية الإمام سيد الشهداء الحسين بن علي بن أبي طالب وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

تعبر عن رجوع بقية الركب الحسيني من الشام إلى كربلاء في طريقه إلى المدينة المنورة، أو عن زيارة جابر بن عبد الله الأنصاري لمرقد الإمام سيد الشهداء عليه السلام، أو عن كلا الأمرين، إضافة إلى التقاء جابر بركب الإمام عليه السلام في عرصات كربلاء عند قبر السبط الشهيد عليه السلام، وكذلك تعبّر عن ذكرى رجوع الرأس المقدّس للإمام سيد الشهداء عليه السلام إلى كربلاء ـ بناءً على ثبوت إرجاع الرأس المقدّس للإمام عليه السلام ـ.

وهي تعبّر في أيامنا هذه عن غاية مراسم الحزن للإمام الشهيد مع أنها لم تكن كذلك في أيامها.

إذ إن عائلة الإمام واصلت السير نحو المدينة تصحبها ثلة من عساكر الجبابرة وكان وصولهم إلى المدينة نهاية للرحلة الأليمة المهولة ورجوعاً إلى الدار ولكن أي سكن هو، وأي رجوع هذا، وجميع دورهم قد خلت من رجالها وشبابها وأطفالها.

وكان رجوعهم بداية لأيام أقيمت فيها مجالس البكاء والنُدبة للعائلة الهاشمية ولعوائل الصحب بل لعموم أهل المدينة.

اتشحت المدينة بالسواد قلباً وقالباً حتى عبّرت عن لوعتها ومصابها وثورتها على الحكم الغاصب الظالم المتسافل بثورة الحرّة، والتي ما فتئ يزيد الكفر والفجور أن عبّر عن ذاتياته ومواريقه من آبائه وآله ـ بني أمية الشجرة الملعونة ـ فأوقع بهم تلك الوقعة الهائلة والتي بقيت حديث الدهر وسُجّلت في صحف وليه وعدوّه.

فإذن ليس المقصود من أربعينية الحسين عليه السلام نهاية أيام مراسم العزاء والحزن؛ إذ لا نهاية لها حتى ظهور مهدي آل محمد وأخذه بثأر الحسين المظلوم.

كما أنها لا تُعبّر عن نهاية مراسم الحزن للركب الحسيني؛ لأن الركب حينما بلغ المدينة ابتدأ بمراسم الحزن والعزاء وطالت سنين حتى توفي منهم بعد سنين بغُصته وحسرته ولوعته وحرقة قلبه.

وليست هي بنهاية للرحلة الحسينية فإن نهايتها كانت برجوع الركب إلى المدينة.

نعم

هي تُعبّر عن تجديد العهد بالإمام الشهيد وذلك بحضور الركب وجابر إلى عرصات كربلاء.

وهي تعبّر عن تجديد الحزن بالحسين وأهله وصحبه إذ حضر الركب إلى كربلاء حيث المكان الذي يرقد فيه الحسين، وشهد فيه آخر أنفاس الحسين عليه السلام ونداءاته ومواعظه وجهاده.

إنّه المكان الذي شهد بطولات الحسين وصحبه في معركة قلّ بل انعدم نظيرها

في الاستماتة والشجاعة والتضحية بالغالي والنفيس ومراقبة المولى سبحانه، والملكات السامية التي عبّر عنها أبطال الطف في ساعات من عمر الدهر.

الأربعينية تجديد للأحزان؛ إذ فيها استذكار للولي ولقضيته ومعاناته والمظالم التي أوقعها بنو أمية به وبثقله وصحبه الكرام.

في كربلاء قتل السبط الشهيد.

سبط رسول الله وولد علي وفاطمة وأخو الحسن.

هو خامس أصحاب الكساء وأصحاب آية التطهير وآية المودة وغيرها من غرر الآيات.

ها هُنا قُتل ملاذ الأمة ومسكن نفسها وملجؤها في بؤسها وضُرّها.

ها هنا ذبح وها هنا سلب وها هنا شمت به وها هنا سارت الخيل على صدره فكسرت عظامه وها هنا قطع رأسه وها هنا رفع رأسه على الرمح وها هنا هجم الجيش المستهتر بكل القيم على حريمه وعياله فأوسعهم رعباً ونهباً وأحرق خيامهم وأسرهم.

ها هنا أسرت عائلة الحسين.

وإلاّ لم تسمع أم الدهر بسبي هاشمية في الجاهلية وفي الإسلام إلى ذلك اليوم.

وأية هاشمية سُبيت؟!

سُبيت ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابنة علي وفاطمة وأخت الحسن والحسين.

زينب سيدة نساء عصرها.

زينب: من رُبيت في حجر النبي واستنشقت في داره عبير أنفاسه وغذيت من تربيته وحنانه وشفقته.

وسُبيت مع زينب عليها السلام بنات الحسين وزوجة الحسين.

وها هنا سبي حجة الله بعد الحسين: زين العابدين وسيد الساجدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

صُفّد بالحديد في يديه ورجليه ورقبته وهو يكاد يفارق الحياة من شدة مرضه وحمل على الناقة أياماً طويلة يُحال به من بلد إلى بلد تصهره حرارة الشمس وينهكه الجوع والعطش ويثقله الحديد وتهدّه منظر عماته وأخواته وأهل بيته في الأسر ومنظر رأس والده ورؤوس أهل بيته وصحبه على أطراف الرماح بمشهد من المسلمين، ولو كانوا في بلاد الكفر لم يحصل كل هذا، ولو حصل لم يزيدوا عليه.

أفتُنكب عائلة النبي هكذا؛ لأنها لم ترض بما يجري من انحراف عن الإسلام وتعاليمه ومن ظلم وجور واستباحةٍ للمحارم في نفس بلاد الإسلام.

ولو فُرض أنهم خرجوا للإمرة والسلطة.

أفلم يَعفُ النبي عن أسلافِ بني أمية وعن أنصارهم وأعضادهم حين تمكن منهم وقد حاربوا الله ورسوله أكثر من عشرين عاماً وكادوا أن يمحوا الإسلام ويقتلوا نبيه لولا النصر الإلهي.

أفلم يعف أمير المؤمنين عليه السلام عن محاربيه وناكثي بيعته والمتآزرين على قتله ومحو دولته مع أنهم قد خرجوا على الإمام المنصوص عليه بالإمامة والمرضي من عموم الأمة والمبايع منها بكل رضىً وعن تمام الطواعية والاختيار؟!

فلم نكّلوا هكذا بالحسين وأهل بيته وصحبه وهم عشرات مع أن الإمام عرض الذهاب في بلاد الله العريضة؟! ثم إن الخطر المحدق ببني أمية قد انتهى بسيطرتهم على الكوفة.

إن حال بني أمية وأشياعهم والمبررين لهم في الآخرة لعظيم الخطر بل ذهبوا بعارها وشنارها ولن يرحضوها بغسل أبداً.

اللهم إنا نبرأ إليك منهم ومن فعلهم ونسألك الحشر مع الحسين وأصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام.

الأربعينية اليوم

لقد دأب شيعة أهل البيت عليهم السلام على إحياء يوم العشرين من صفر من كل عام بعنوان ـ أربعينية الإمام الحسين عليه السلام ـ فيقصدون الإمام الحسين عليه السلام بالزيارة ويقومون بإحياء هذه الذكرى ابتداءً من غروب ليلة العشرين من صفر إلى آخر نهار يوم العشرين فهم بين مصلّ وداع ومنتحب ومتصدّق إلى آخر أشكال العبادة المرضية شرعاً التي يمارسونها كل عام في مدينة الحسين ـ كربلاء ـ بل حيث كانوا في مشارق الأرض ومغاربها.

ولا تقتصر مراسم الإحياء على ما مرّ بل تنتشر في مدن الشيعة ـ وخصوصا في كربلاء ـ مواكب اللطم والندب والعزاء على الإمام الشهيد معلنةً سيرها على درب الإمام ولعنها لبني أمية ونبذها لنهجهم.

أبو الفضل عليه السلام وزيارة الأربعين

ولأبي الفضل من الأربعينية حصّة.

وهذه الحصّة في جانب الزيارة كما في جانب إرجاع الرؤوس المقدّسة ـ على القول به ـ.

أما من جهة إرجاع الرؤوس: فإن الاحتمال قائم على إرجاع الرأس المقدس للإمام سيد الشهداء عليه السلام بصحبة ركب سبايا آل محمد.

إلاّ أن الإرجاع غير محسوم وإن كان هو الأرجح من بين المحتملات(١).

فيحتمل عدمه وقد وردت منقولات تأريخية عدّة حول مكان دفنه ولذا فالاحتياط في الاهتمام بجميع تلك الأماكن وبزيارتها هو الأجدر بالمؤمن.

وكما أن الأمر محتمل بالنسبة لسيد الشهداء عليه السلام فإن الاحتمال قائم في الرؤوس المقدّسة لبقية الشهداء ـ ومنهم أبو الفضل عليه السلام ـ فقد ذكر رجوعها مع الرأس المقدّس للإمام كما ورد رجوع رأس الإمام دون بقية الرؤوس، وورد أيضاً عدم رجوع أي منها.

وأما من جهة زيارة أبي الفضل في الأربعين: فإن لأبي الفضل مقاماً يقتضي زيارته على كل حال ولو افترض أنه دفن في مدينةٍ وحده، لكن لوجود سيد الشهداء عليه السلام في كربلاء فإن الزيارة تعنونت باسمه المقدس.

---

(١) راجع: حياة الإمام الحسين عليه السلام للشيخ القرشي: ج٣، ص٤٣٠، فقد بحث الأمر بشكل مفصّل.

رؤيا قاتل أبي الفضل عليه السلام

عن القاسم بن الأصبغ بن نباتة: قال: رأيت رجلاً من بني أبان بن دارم، أسود الوجه، وقد كنت أعرفه شديد البياض جميلاً، فسألته عن سبب تغيّره، وقلت له: ما كدت أعرفك، فقال: إني قتلت رجلاً بكربلاء، وسيماً جسيماً، بين عينيه أثر السجود فما بتّ ليلة منذ قتلته إلى الآن، إلاّ وقد جاءني في النوم، وأخذ بتلابيبي، وقادني إلى جهنم فيدفعني فيها فأظلّ أصيح، فلا يبقى أحدٌ في الحي إلاّ ويسمع صياحي.

قال: فانتشر الخبر.

فقالت، جارةٌ له، إنه: ما زلنا نسمع صياحه، حتى ما يدعنا ننام شيئاً من الليل.

فقمت في شباب الحي إلى زوجته فسألناها فقالت: أما إذا أخبر هو عن نفسه، فلا أبعد الله غيره، قد صدقكم.

قال: والمقتول هو: العباس بن علي عليهما السلام[1].

---

(١) إبصار العين للشيخ محمد السماوي: ص٦٤.

قد يتوقف في هذه الرواية من جهة السند.

إلاّ أن التوقف فيها من جهة المضمون، غير سليم، لتوفّر مجموعة من الروايات والمنقولات التاريخية، تتضمّن تكرّر أمثال النص المتقدّم، مع مجموعة من مجرمي يوم الطف من جُند بن أمية.

منها: ما نقله سبط ابن الجوزي ــ وهو من العامة ــ في كتابه تذكرة الخواص بسنده عن القاسم بن الأصبغ المجاشعي، قال:

لما اُتي بالرؤوس إلى الكوفة إذا بفارس أحسن الناس وجهاً قد علق في لبب فرسه رأس غلام أمرد كأنه القمر ليلة تمامه والفرس يمرح فإذا طأطأ رأسه لحق الرأس بالأرض، فقلت له: رأس من هذا؟

فقال: هذا رأس العباس بن علي.

قلت: ومن أنت؟

قال: حرملة بن كاهل الأسدي.

قال: فلبثت أياماً وإذا بحرملة ووجهه أشد سواداً من القار.

فقلت له: لقد رأيتك يوم حملت الرأس وما في العرب أنضر وجهاً منك، وما أرى اليوم لا أقبح ولا أسود منك.

فبكى وقال: والله منذ حملت الرأس وإلى اليوم، ما تمرّ عليّ ليلة إلا واثنان يأخذان بضبعي ثم ينتهيان بي إلى نار تأجج فيدفعاني فيها وأنا أنكص، فتسفعني كما ترى.

ثم مات على أقبح حال[١].

وهناك غيرها.

وما تقدّم؛ سبب من أسباب اللطف والهداية من المولى سبحانه لعباده، إذ هي معلم آخر لتمييز طرائق الحق من طرائق الباطل، وتوعية للأمة وهي لا تخلو من وجهة لطف للمجرم نفسه كي يأخذ أهبته وينطلق للتكفير عن جريمته العظيمة بفضح الباطل والمشاركة في الإجهاز عليه.

وجريمة قتل أبي الفضل وأمثاله من العظم بحيث لا يحتمل توجه قاتله إلى ساحة التوبة؛ لأن من يقتل مثل أبي الفضل لابد أنه بلغ كل غاية في الخسة والكفر والرذالة حتى يقدم على مثل هذه الفعلة النكراء.

وقد ورد في الآية المباركة:

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[٢].

ولقد فسّرت الآية بأنها فيمن يقتل مؤمناً لإيمانه وبسبب التزامه بدينه[٣]، ولا شك في أن قضية أبي الفضل من هذا القبيل ومصداق من أوضح مصاديقها.

وورد أنه لا يوفق قاتل المؤمن عمداً للتوبة[٤].

لكن تبقى أمثال هذه الروايات فيها من اللطف ما لا يخفى لتحديد الحق وتمييزه

---

(١) مسند الإمام الحسين عليه السلام للعطاردي: ج٢، ص٥١٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٣.

(٣) تفسير كنز الدقائق: ج٢، ص٥٧٧.

(٤) وسائل الشيعة: ج٢٩، ص١٢، ح٨.

عن الباطل إضافة لما يُذكر من البراهين، ولفضح المجرم ودفع المجتمع إلى اتخاذ مواقف عنيفة منه.

ولإيجاد رادع لأفراد الأمة عن اقتراف مثل هذه الجريمة.

ولتحقيق الوهن في كيان الباطل عبر نكول الأمة عن المشاركة في أمثال هذه الأفعال.

ولا شك في أن أمثال هذه القصص والروايات والأحلام أثرت أثراً بالغاً في الناس ورسّخت عبر الزمان رادعاً عن أمثال هذه الجرائم تخوفاً من سلب التوفيق ومن العواقب الوخيمة لهذه الأفعال من موت طفل وذهاب مال وابتلاء بمرضٍ وذهاب جاهٍ ونحو هذه من الآثار الوضعية التي يتخوف الناس من حدوثها ويحسبون لها ألف حساب أكثر من الآثار الأخروية بما فيها جهنم.

على أنّ هناك فئة كبيرة من المجتمع ـ أيّ مجتمع ـ تمثل الرؤى لها دليلاً حاسماً فتسترشد بها في مهام أمورها كما تتعزّز بها بعض قناعاتها.

بل هي في واقع الحال غير مختصةٍ بطبقة ما فالكل في الاهتمام لما تحكيه الرؤى ولما تكشفه من واقع حالٍ أو من آفاق مستقبل سواء، غير أن درجة الاهتمام مختلفة تبعاً للمضائق التي يمرّ بها الإنسان وتبعاً لقوّة أهمية ما تحكيه الرؤيا غير أن اختلاط الرؤى بالأضغاث قلل من أهميتها.

لكنها تبقى على كل حال جهة كشف للواقع الفعلي أو المستقبلي في الجملة، ومن الغريب: أنه ما من أحدٍ إلاّ وهو يهتم للرؤيا إذا كان هو الرائي لها، لكن درجة التفاعل معها تختلف في حال كون الرائي لها هو الغير.

كما أن من الغريب أن انعدام اهتمامنا بها قارن بدء اهتمام الغرب بهيئاته

العلمية بها وأصبح الأمر محل الدراسة في الجامعات العلمية وأخذت تصدر في حقه الدوريات الطباعية.

ويكفي لثبوت أهميتها وقيمتها لدى المتدين ما ورد بحقها في الكتاب والسنة.

نعم، الثغرة المهمة في مسألة الرؤى انعدام طريق إثباتها إلاّ بتحقق مضمونها خارجاً.

ثم إنها استُغلّت لإثبات الأباطيل بيد أعداء الإنسانية ومن يسير في ركابهم.

أمّا ما نحن فيه فلا يُمكن الشك فيه بعد حكاية هذه الرؤى عن أناسٍ نواصب وأعداء لأهل البيت عليهم السلام؛ إذ حكوا رؤاهم المؤيّدة لخط أهل البيت عليهم السلام والمضادة لتوجهات الرائين العقائدية والسلوكية، ثم إن هذه الأخبار سجلتها الكتب المخالفة لخط أهل البيت عليهم السلام بيد أكثر الناس تعصّباً ومضادة للتوجه الإمامي فراجع ما نقله صاحب فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ج٣، ص٣٠٣ عن ابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة عن سبط ابن الجوزي عن الواقدي مثلاً.

وشيء آخر ينبغي التنبيه عليه

قد يُساءل عن وجه طرح الأحلام في الأبحاث العلمية ووجه الاعتماد على مضامينها مع أنها في نظر البعض تخيلات وأوهام تنتج عن التعايش اليومي للمرء مع أحداث الحياة، وعن المناظر التي يشاهدها ويسمع بها ويتفاعل معها نفسياً، وقد تكون الأحلام نتيجة غذاء معين، أو جوع شديد، أو تخمة، أو نحو هذه من الأسباب التي لا تكشف غيباً ولا تُنتج واقعاً.

والجواب: إن الفكر الإسلامي ينظر إلى الأحلام نظرة وسطيّة لا إفراط فيها ولا تفريط شأنه في كل جوانب الشأن البشري.

فلا يقبل عدّها تُرهات وزخارف لا تسمن ولا تُغني، كما لم يعدّها حقّاً لا ريب فيها ولا شبهة تعتريها في جميع تفاصيلها، بل يُنزلها منزلها الواقعي.

إذا راجعنا القرآن العزيز نجد فيه موارد عدّة للأحلام:

ففي سورة يوسف عليه السلام: رؤيا يوسف عليه السلام:

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَـٰجِدِينَ﴾[1].

(١) سورة يوسف، الآية: ٤.

ورؤيا ملك مصر:

﴿سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ ...﴾[١].

ورؤيا صاحبي السجن:

﴿قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ﴾[٢].

ورؤيا إبراهيم عليه السلام:

﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾[٣].

ورؤيا النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم:

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ...﴾[٤].

ورؤياه بني أمية:

﴿...وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾[٥].

ورؤياه:

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا ...﴾[٦].

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٤٣.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٣٦.

(٣) سورة الصافات، الآية: ١٠٣.

(٤) سورة الفتح، الآية: ٢٧.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٦٠.

(٦) سورة الأنفال، الآية: ٤٣.

وفي الأحاديث الكثير منها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الاثني عشر عليهم السلام تكفل بجمعها الشيخ حسين النوري في كتابه ـ دار السلام فيما يتعلق بالرؤيا والمنام ـ وهو في مجلدات أربعة.

وأما قصص المؤمنين والصالحين فلا تُعدّ ولا تحصى فضلاً عن غيرهم من قصص عامة الناس في مجال الرؤيا والأحلام[١].

بل ما من أحدٍ ـ تقريباً ـ إلاّ وقد شاهد مناماً أو أكثر كشف له عن أمور مستقبلية أو فعلية غائبة عن ثبت تحققها وواقعيتها فيما بعد.

اتجه الفكر الغربي المادي المنكر للروحانيات والماوراء الطبيعة إلى التزام عدم الاعتناء بظاهرة الرؤى والمنامات وعدّها أوهاماً وتخيلات ناتجة عن واقع مزاج الإنسان واضطرابه وارتياحه، وقد قدمنا أن هذا الموقف مضاد للفكر الديني الإسلامي.

لكن هذا الموقف المادي قد تغيّر بفعل الشواهد الكثيرة التي لا تحصى ويعيشها كل امرئ بنفسه وما يبلغه عن غيره من منامات صحيحة تحكي عن أحداث مستقبلية أو تحكي عن واقع خفي غير معلوم لأحدٍ ويُكشف من طريق المنام فقط، كل هذا أدّى ببعض علماء الطبيعة الغربيين إلى الاعتراف بقيمة الرؤى والمنامات وبأهميتها مما دفعهم إلى دراسة هذه الظاهرة البشرية ودراسة عللها.

وقد تم تأسيس علم جديد يُدعى ـ الباراسايكولوجي ـ يبحث في الظواهر الغريبة التي تصدر عن الإنسان أو تجري عليه كالأحلام والمنامات الصادقة، والحدس الصادق، وقراءة الأفكار عن قُرب أو بُعد ولعل البعد بآلاف الأميال، والقدرة على

(١) راجع لها كتاب: دار السلام فيما يتعلق بالرؤيا والمنام للشيخ حسين النوري.

تحريك الأشياء عن بُعد، وتأثيرات العين، ونحو هذه من الظواهر الكثيرة التي لم يكن العلم ليعبأ بها ويعدّها من مظاهر الدجل والتدليس لخداع العامة بينما بدأ الآن يعترف بها في الجملة ويدرسها ويميّز غثّها من سمينها، يدخل إلى هذه العوالم التي طالما رفضها.

والموقف الجديد للبحث العلمي المادي ـ الغربي أو الشرقي على حدّ سواء ـ من المنامات مما يؤيد الفكر الديني ويدعمه ويسنده وهو انتصار جديد للفكر الديني على الفكر الملحد المادي الذي يحاول دائما نسف الدين والفكر الديني وإزاحتهما عن مسرح الأحداث وموقع استحقاق قيادة المجتمعات، غير أن انتصار الدين في موقع فكري وغيره لا تجد له صدى غالباً لكون القوة والمال ووسائل الإعلام والتطبيل والتهريج بيد عدوّ الدين وأهله.

أما الموقف الديني[١]، والعلمي الصحيح من ظاهرة الرؤى والمنامات، فإنها تتضح بشكل أجلى بعد فهم موقف الدين من واقعية وجود الروح الإنسانية ووجود عوالم ما وراء الطبيعة، وفهم ظاهرة النوم وما ينتج عن النوم من حركة الروح والنفس الإنسانية في عوالم مناسبة لها في الخلقة واطلاع النفس الإنسانية نتيجة الارتباط بتلك العوالم على معلومات فعلية أو مستقبلية تظهر للمرء بصورة الرؤى والأحلام غير أنها تختلف في ارتسامها من شخص لآخر حسب قدراته واستعداداته وطهارة ذاته فقد يتحقق ما رآه في المنام خارجاً، كما شاهده بالضبط، وقد يكون سهل التطبيق، وقد يعسر تأويله وتطبيقه، ومن هنا تأتي أهمية دور مفسري الأحلام المتخصصين في فك رموزها وتشخيص مفادها، وهي

---

(١) راجع: تفسير الميزان للسيد الطباطبائي: ج١١، ص٢٦٨.

ليست شَرَعاً لكل وارد على أنها ـ حالها حال غيرها ـ قد تَدَخَّلَ فيها المُغرض والمدلّس والقصير الباع.

وقد عدّ النبي يوسف عليه السلام من جملة نعم الله سبحانه عليه منحه قابلية تفسير الأحلام التي وسمها المولى سبحانه كما في سورة يوسف عليه السلام بتأويل الأحاديث[1]، وواضح من هذا التعبير أن الرؤيا حالة مكالمة وتحدّث بين الروح الإنسانية وخَلْقٍ آخر في أثناء النوم إلاّ أنه حديث خاص بحسب قوانين عالم الماورائيات ونظامه.

والذي نحمد الله سبحانه عليه أن الفكر العلمي كلما تقدّم وتوسّع وارتقى ازداد تطابقاً في النتائج المستحصلة من أبحاثه مع الفكر الديني الإسلامي بالخصوص واعترف بمضامينه.

نعم افتراقه عن الدين إنما هو في غير الدين الإسلامي لدخول التحريف الهائل في تعاليم تلك الأديان ونصوصها ولم يَسْلَمْ دِينٌ من الضياع على وجه الأرض غير الدين الإسلامي فقط.

(١) لاحظ: الآية ١٠١ من سورة يوسف.



أبو الفضل عليه السلام

في شعر أهل الولاء

قال فيه العَلَمُ الشيخ محمد حسين الأصفهاني في أرجوزته

أبو الإباء وابن بجدة اللقا ... رقى من العلياء خير مرتقى

ذاك أبو الفضل أخو المعالي ... سلالة الجلال والجمال

شبل علي ليث غابة القدم ... (ومن يُشابه أبه فما ظلم)

واسى أخاه حين لا مواسي ... في موقف يزلزل الرواسي

دافع عن سبط نبي الرحمة ... بهمةٍ لا فوقها من همّة

واستعرض الصفوف واستطالا ... على العدى ونكّس الأبطالا

وانصدعت مهجة سيد البشر ... لقتله وظهر سبطه انكسر

وبان الانكسار في جبينه ... فاندكت الجبال من حَنينه

وكيف لا وهو جمال بهجته ... وفي محيّاه سرور مهجته

كافل أهله وساقي صبيته ... وحامل اللوا بعالي همّته

واحده لكنّه كُلّ القوى ... وليث غابه بطف نينوى

أين فتى الفتيان يوم الملحمة ... عن فتياته بأيدي الظلمة

وهي ستة وستون بيتاً من غرر الشعر[١]، وينبغي لكل مؤمن قراءتها والتمعن فيها ليعلم ما يقوله ويعتقد به عظماء الطائفة الحقة في أبي الفضل عليه السلام.

ومما يحسن مني بيانه: أن كل ما وصف به أهل بيت العصمة والطهارة ومن يأتي تلوهم كأبي طالب وأبي الفضل العباس والعقيلة زينب فهو دون ما يستحقون من وصف، ولا شك، ولم يرشح هذا عن شيعتهم إلا لمكان العظمة فيهم وجليل فعالهم وولاء وشعر كهذين لا تجد مثيلهما عند مخالفينا في أئمتهم.

فانظر بربك إلى نوع المدح الذي صدر عن حافظ إبراهيم شاعر النيل لعمر بن الخطاب حول قضية تهديده بإحراق بيت الزهراء سيدة نساء العالمين وبضعة المصطفى ومن يغضب الله جلّ جلاله لغضبها ويرضى لرضاها:

وقولةٍ لعلي قالها عمر ... أكرم بسامعها أعظم بمُلقيها

حرقت دارك لا أبقي عليك بها ... إن لم تبايع وبنت المصطفى فيها

وليحكم ضميرك وعقلك في هذا الشاعر وهذا النوع من المدح وفي هذه القضية.

وراجع الغدير لترى اهتمام أدباء مصر بهذه القصيدة المحتوية لهذه الأبيات ـ العار ـ وما من مستح ولا من غيور على دينه وعلى مقدسات الإسلام.

فاطمة سيدة نساء العالمين عليها السلام وبنت سيد المرسلين أفلا حُرمة لوجودها في بيت فيُحرق البيت حتى مع وجودها فيه لأجل البيعة التي ادّعوا أخذها من الناس بالاختيار وإن إجماع الصحابة عليها وعلي بن أبي طالب نفس

(١) راجع: أرجوزة الأنوار القدسية للشيخ محمد حسين الأصفهاني: ص١٢٥.

رسول الله بنص آية المباهلة وأحد أصحاب آية التطهير ومن نزلت فيه المئات من الآيات في فضله والمئات ـ أو الآلاف ـ من الروايات في حقه ومن أعظمها حديث الغدير العظيم الذي بايعه في يومه ذاك أكثر من مائة ألف صحابي منهم أبو بكر وعمر حتى اعترفا له بأنه أصبح مولاهم ومولى كل مؤمن ومؤمنة، وإذا به يُحاصر ويُهدّد بإحراق داره عليه التي فيها سيدة نساء العالمين وسيدا شباب أهل الجنة ولم يَمضِ على وفاة الرسول غير يوم أو يومين ثم يأتي حافظ إبراهيم ليمدحه على هذا التهديد.

فراجع وتأمّل وحكّم دينك وغيرتك.

وعن حفيد أبي الفضل، الفضل بن محمد بن الفضل بن الحسن بن عُبيد الله بن العباس عليه السلام:

إنـي لأذكـر للعبـاس موقفـه	بكـربلاء وهـامُ القـوم تُختطـفُ
يحمي الحسين ويحميه على ظمأ	ولا يُـولّي ولا يـثني فيختلـف
ولا أرى مـشهداً يومـاً كمـشهده	مع الحسين عليه الفضل والشرف
أكْـرِمْ بـه مـشهداً بانـت فـضيلته	ومـا أضـاع لـه أفعالـه خَلَـفُ[1]

وينسب إليه أيضاً:

أحـقّ النـاس أن يُبكـى عليـه	فتـىً أبكـى الحـسين بكـربلاء
أخـوه وابـن والـده علـيٌّ	أبـو الفـضل المـضرّج بالـدماء
ومـن واسـاه لا يُثنيـه شـيء	وجـادَ لـه علـى عطـش بمـاء[2]

---

(١) إبصار العين للشيخ محمد السماوي: ص٦٣.

(٢) العباس عليه السلام للسيد المقرم: ص٤٠١.

وللسيد جعفر الحلي:

مــا خلــت أن الــدهر مــن عاداتــه ... تــروى الكــلاب بــه ويظمــى الــضيغم

ويقـــدّم الأمـــوي وهـــو مـــؤخّر ... ويُـــؤخّر العلـــوي وهـــو مُقـــدّم

مثــل ابــن فاطمــة يبيــت مــشرّداً ... ويزيـــد في لذّاتـــه يَتَـــنَعّمُ

يرقـــى منـــابر أحمـــد متـــأمِراً ... في المـــسلمين ولـــيس يُنكِـــرُ مـــسلمُ

ويــضيّق الــدنيا علــى ابــن محمــدٍ ... حتـــى تقاذفـــه القـــضاء الأعظـــم

خــرج الحــسين مــن المدينــة خائفــاً ... كخـــروج موســـى خائفـــاً يتكـــتّم

وقــد انجلــى مــن مكــةٍ وهــو ابنهــا ... وبـــه تـــشرّفت الحطـــيم وزمـــزم

لم يــدر أيــن يُــريحُ بــدن ركابــه ... فكأنّمـــا المـــأوى عليـــه محـــرّم

نزلـــوا بحومـــة كـــربلا فتطلّبـــت ... مـــنهم عوائـــدها الطيـــور الحُـــوّم

طمعــت أميــة حــين قــلّ عديــدهم ... لطلـــيقهم في الفـــتح أن يستـــسلموا

ورجـــوا مـــذلتهم فقلـــن رمـــاحهم ... مـــن دون ذلـــك أن تُنـــال وتكـــتم

وقــع العــذاب علــى جيــوش أمّيــة ... مــن باســلٍ هــو في الوقــائع يُعلــم

عبــست وجــوه القــوم خــوف المــوت ... والعبـــاس فـــيهم ضـــاحك متبـــسّم

قلــب الــيمين علــى الــشمال وغــاص في ... الأوســاط يحــصد في الــرؤوس ويحطــم

وثنــى أبــو الفــضل الفــوارس نكّــصاً ... فـــرأوا أشـــدّ ثبـــاتهم أن يُهزمـــوا

مــا كــرّ ذو بــأسٍ لــه متقــدماً ... إلاّ وفـــرّ ورأســـه المتقـــدّم

بطـــل تـــورّث مـــن أبيـــه شـــجاعة ... فيهـــا أنـــوف بـــني الـــضلالة تُـــرغم

عـــرف المـــواعظ لا تفيـــد بمعـــشرٍ ... صـــمّوا علـــى النبـــأ العظـــيم كمـــا عمـــوا

فانــصاع يخطــب بالجمــاجم والكــلا ... فالـــسيف ينثـــر والمثقّـــف يـــنظم

أو تـشتكي العطـش الفـواطم عنـده ... وبـصدر صـعدته الفـرات المُفْعَـمُ

لـو سـدّ ذي القـرنين دون وروده ... نـسفته همّتـه بمـا هـو أعظـم

وهـوى بجنـب العلقمـيّ فليتـه ... للـشاربين بـه يُـداف العلقـمُ

فمـشى لمـصرعه الحـسين وطرفـه ... بـين الخيـام وبينـه متقـسّمُ

أأُخـيّ مـن يحمـي بنـات محمـدٍ ... أن صِـرْنَ يـسترحمن مـن لا يـرحمُ

مـا خِلـتُ بعـدك أن تُـشَلّ سـواعدي ... وتُكَـفّ باصـرتي وظهـري يُقـسم

مـا بـين مـصرعك الفظيـع ومـصرعي ... إلاّ كمـا أدعـوك قبـل وتـنعمُ

هـذا حُـسامُكَ مـن يـذبّ بـه العـدى ... ولـواك هـذا مـن بـه يتقـدّم

هوّنـت يـا ابـن أبـي مـصارع فتـيتي ... والجُـرح يُـسكنه الـذي هـو أألُـم

يـا مالكـاً صـدر الـشريعة إنـني ... لقليـل عمـري في بُكـاك مـتمم[1]

في أبي الفضل عليه السلام:

لم يخشَ مِن نبالهم حتى نـزل ... إلى الفـرات دونمـا أيّ وجـل

هَـمّ بـشُربِ المـاء حـين اغترفـا ... بموقـفٍ فيـه تجـسّد الوفـا

تـذكّر الحـسين إذ يـشكو الظمـا ... مِـن يـده المـاء أبـو الفـضل رمـى

فيـا لـه مـن موقـفٍ كـريم ... يُنبـئ عـن إيمانـه العظـيم

وآثـر الحـسين حـامي الـدين ... وقـال مِـن بعـد الحـسين هـوني

(١) ديوان رياض المدح والرثاء للشيخ حسين البلادي البحراني: ص١٧١.

المصادر

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ الميزان في تفسير القرآن، للسيد محمد حسين الطباطبائي مؤسسة إسماعيليان، قم.

٣ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: انتشارات إسلامي، طهران سنة ١٣٧٢ هـ.ش.

٤ ـ بحار الأنوار، للشيخ محمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي، لبنان ١٤٠٣ هـ.ق.

٥ ـ وسائل الشيعة، للشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم ١٤٠٩ هـ.ق.

٦ ـ نهج البلاغة، للسيد محمد بن الحسين الرضي تحقيق: صبحي الصالح، طبع دار الأسوة، إيران ١٤١٥ هـ.ق.

٧ ـ الخصال، للشيخ محمد بن علي بن الحسين الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٤١٦ هـ.ق.

٨ ـ مصباح الزائر للسيد علي بن موسى بن طاوس تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ١٤١٧ هـ.ق.

٩ ـ مفاتيح الجنان، للشيخ عباس القمي، منشورات مؤسسة الأعلمي، لبنان، ١٩٩٨م.

١٠ ـ كامل الزيارات، للشيخ جعفر بن محمد بن قولويه تحقيق: نشر الفقاهة، إيران، ١٤١٧هـ.ق.

١١ ـ ضياء الصالحين، للحاج محمد صالح الجوهري مؤسسة الأعلمي، لبنان، ١٤١٨ هـ.ق ويقال إنه للسيد أحمد المستنبط.

١٢ ـ المعجم المفهرس لألفاظ بحار الأنوار، لجان في مكتب الإعلام الإسلامي مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤١٥ هـ.ق.

١٣ ـ المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة، محمد الدشتي، السيد كاظم المحمدي قم، ١٣٧٥ هـ.ق.

١٤ ـ الملهوف، للسيد علي بن موسى بن طاوس تحقيق: الشيخ فارس الحسّون، إيران، ١٤١٤ هـ.ق.

١٥ ـ إبصار العين، للشيخ محمد السماوي تحقيق: محمد جعفر الطبسي، إيران، ١٤١٩ هـ.ق.

١٦ ـ حياة الإمام الحسين، للشيخ باقر شريف القرشي انتشارات مدرسة الإيرواني، قم ١٩٩٢م.

١٧ ـ الإرشاد، للشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان المفيد تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم ١٤١٣ هـ.ق.

١٨ ـ العباس عليه السلام، للشيخ باقر شريف القرشي انتشارات: مهدية، قم ١٤٢٠ هـ.ق.

١٩ ـ العباس عليه السلام، للسيد عبد الرزاق المقرّم منشورات الشريف الرضي، قم، الطبعة الأولى.

٢٠ ـ المقتل، لابن أعثم انتشارات: أنوار الهدى، قم ١٤٢١ هـ.ق.

٢١ ـ الغدير، للشيخ عبد الحسين الأميني تحقيق: مركز الغدير، قم ١٤١٦ هـ.ق.

٢٢ ـ نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار، للسيد علي الميلاني، والعبقات، للسيد حامد حسين الهندي إيران، ١٤١٤ هـ.ق.

٢٣ ـ فضائل الخمسة من الصحاح الستة، للسيد مرتضى الفيروز آبادي دار الكتب الإسلامية، طهران ١٤١٣ هـ.ق.

٢٤ ـ ديوان رياض المدح والرثاء، للشيخ حسين علي البلادي البحراني، منشورات مكتبة الدواري، قم ١٤١٢ هـ.ق.

٢٥ ـ المعجم الوسيط، مجموعة مكتب نشر الثقافة الإسلامية، إيران ١٤١٢ هـ.ق.

٢٦ ـ المنجد، أشراف لجنة انتشارات دهاقاني، إيران ١٣٧٤ هـ.ش.

٢٧ ـ الأنوار القدسية ـ أرجوزة ـ للشيخ محمد حسين الأصفهاني مؤسسة الوفاء، لبنان ١٤٠٤ هـ.ق.

٢٨ ـ السرائر، للشيخ محمد بن إدريس الحلي مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٤١٤ هـ.ق.

٢٩ ـ معجم رجال الحديث، للسيد أبي القاسم الخوئي، منشورات مدينة العلم، قم ١٤٠٣ هـ.ق.

٣٠ ـ تفسير كنز الدقائق، للشيخ محمد المشهدي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٤١٠ هـ.ق.

المحتويات